مباحث علوم القرآن

التّاريخيّة والقرائيّة والتّفسيريّة

في خرائط معرفيّة

إبراهيم عليّ السّفسيف

مباحث علوم القرآن

التّاريخيّة والقرائيّة والتّفسيريّة

في خرائط معرفيّة

إبراهيم علي السفسيف

١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

الاستفادة من هذا المخطوط

متاحة بأية صورة.

المحتويات

المحتويات	٤
الإهداء	٥
فاتحة	٦
المقدّمة	٧
القسم الأوّل: في معرفة القرآن	٩-١٨
- التّعريف والأسماء	١٠
- الخصائص والفضائل	١١
- الأزليّة والحدوث	١٢
- الثّبوت والحُجيّة	١٣
- السّلامة والإعجاز	١٤
- العلوم والمباحث	١٦
القسم الثاني: مباحث علوم القرآن	١٩-٥٣
١. المباحث التّاريخيّة:	٢٠
- تمهيد: علم تاريخ القرآن	٢١
- نزول القرآن	٢٢
- تدوين القرآن وجمعه	٢٤
- ترتيب المصحف ورسمه وضبطه	٢٨
٢. المباحث القرائيّة:	٣٣
- تمهيد: علم قراءة القرآن	٣٤
- القراءات القرآنيّة	٣٥
- الوقف والابتداء	٣٨
- التّجويد	٣٩
٣. المباحث التّفسيريّة:	٤١
- تمهيد: علم تفسير القرآن	٤٢
- أسباب النّزول	٤٣
- المكيّ والمدنيّ	٤٦
- النّاسخ والمنسوخ	٤٨
- المُحكم والمُتشابَه	٥١
- العامّ والخاصّ	٥٣
خاتمة	٥٤
قائمة المصادر والمراجع	٥٥

الإهداء

إلى:

الّذين جعل اللهُ ولايتَهم

قطبَ القرآن،

وقطبَ جميع الكتب.

وعليها يستديرُ القرآنُ،

وبها نوّهت الكتبُ.

فاتحة

{لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}.

(الحشر:٢١)

المـقـدّمـة

بسم الله الرّحمن الرّحيم، والحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء وسيّد المرسلين، أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطّيبين الطّاهرين، واللّعن الدّائم على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدّين. وبعد،

السّياق

في الوقت الّذي تؤكد فيه الرّوايات الشّريفة عن الرّسول الأكرم(ص) والأئمّة المعصومين(ع) على قراءة القرآن الكريم، فإنّها كذلك تُشدّد التّأكيد على فهمه ووعيه.

فعن أمير المؤمنين عليّ(ع) أنه قال: "إنّ الله تعالى لا يُعذّب قلبًا وعى القرآن". غير أنّ وعي القرآن يتأسّس على معرفة القرآن؛ فلا وعي دون معرفة.

ونظرة خاطفة على الواقع تنبئ المتابع، لا بضعف الوعي بالقرآن عند البعض فحسب، بل بنقص المعرفة به لديهم. ونقص المعرفة هذا أفرز مظاهر ضارة، لعلّ من أبرزها:

- تشوّه فهم القرآن في العقول،
- ومن ثمّ الخطأ في تطبيقه،
- ممّا أدّى إلى تسرّب الشّك فيه وإثارة الشّبهات حوله.

وهذا الضّرر لم يقف عند القرآن وحده، بل تعدّاه إلى الدّين الإسلاميّ بأكمله؛ ذلك أنّ مكوّنات الدّين وحدة مترابطة، كلّ مكوّن آخذ بخناق الآخر دون فصل.

وفي السّعي إلى تعرّف سبب نقص المعرفة بالقرآن عند البعض، فإنّنا قد نجده يعود إلى غياب الثّقافة الأصيلة بعلوم القرآن في عمليّة التّكوين الثّقافي للفرد المسلم؛ باعتبارها -علوم القرآن- المدخل الرّئيس لفهم القرآن، وتطبيقه في واقع الحياة على مختلف جنبات مساراتها.

وهذه الأوراق، محاولة لنشر وتعميم ثقافة علوم القرآن، عبر تجسير العلاقة بين المتخصّص في علوم القرآن وغير المتخصّص؛ في سبيل التّخلّص من نقص المعرفة بالقرآن، وتمهيد الطّريق نحو وعي حقيقي وشامل به.

الأهداف

وعليه، فإنّ هذه الأوراق تهدف إلى:

١. التّعريف بالقرآن الكريم وذكر خصائصه وحجيّته وسلامته وإعجازه.
٢. رسم الخريطة المعرفيّة لعلوم القرآن ومباحثه.
٣. بيان مباحث علوم القرآن التّاريخيّة والقرآئيّة والتّفسيريّة كمدخل لوعيه وتطبيقه.
٤. المساهمة في التّأسيس العلميّ لمقاربة الشّبهات المثارة حول القرآن.

المنهج

ومن أجل تحقيق ذلك، سارت هذه الأوراق وفق المنهج الآتي:

١. عرض المادّة العلميّة في صورة خرائط معرفيّة؛ رجاء تركيزها بالإيجاز والرّبط والتّشويق.
٢. الاقتصار على بيان مباحث علوم القرآن الأصيلة، وهي المنبثقة من القرآن ولا تذكر دونه، والإشارة فقط إلى المباحث المستنبطة؛ لكثرتها.
٣. اعتماد الآراء والأقوال المستندة إلى أحاديث الرّسول الأكرم(ص) والأئمّة المعصومين(ع).
٤. عدم التّوسّع في استعراض الآراء والأقوال إلّا مع الحاجة إلى ذلك.

الخطّة

وقد سارت خطّة الأوراق في اتّجاهين:

- الأوّل: حمل عنوان "في معرفة القرآن"، حيث تناول: التّعريف والأسماء، الخصائص والفضائل، الأزليّة والحدوث، الثّبوت والحُجيّة، والسّلامة والإعجاز.
- الثّاني: حمل عنوان "مباحث علوم القرآن"، حيث تناول:
  - المباحث التّاريخيّة: نزول القرآن، تدوين القرآن وجمعه، وترتيب المصحف ورسمه وضبطه.
  - المباحث القرائيّة: القراءات القرآنيّة، الوقف والابتداء، والتّجويد.
  - المباحث التّفسيريّة: أسباب النّزول، المكيّ والمدنيّ، النّاسخ والمنسوخ، والمُحكَم والمُتشابَه، والعامّ والخاصّ.

"اللّهم ارحمني بالقرآن واجعله لي إمامًا ونورًا وهدًى ورحمةً، اللّهم ذكّرني منه ما نُسّيت، وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء اللّيل وأطراف النّهار، واجعله لي حُجّة يا ربّ العالمين".

دمستان: ٥ جمادى الأولى ١٤٤١هـ/١ يناير ٢٠٢٠م

القسم الأول
في معرفة القرآن
1
التّعريف والأسماء
2
الخصائص والفضائل
3
الأزليّة والحُدوث
4
الثّبوت والحُجيّة
5
السّلامة والإعجاز
6
العلوم والمباحث

التّعريف والأسماء

التّعـــريـــف

القرآن: هو كلام الله المعجز، المنزل عن طريق الوحي على الرّسول(ص)، بألفاظه العربيّة ومعانيه التّامّة، المنقول بالتّواتر، والموجود بين الدّفتين، الخاتم للكتب السماوية.

القرآن والحديث القدسيّ والنّبويّ

يختلف القرآن الكريم عن الحديث القدسيّ والحديث النّبويّ من حيث المصدر والخصائص. فالقرآن مقطوع بصدوره عن الله تعالى وعن الرّسول(ص)، وهو معجز ومُتعبّد به ولا يمسّه إلّا المطهّرون.

أما الحديث القدسيّ فهو ما حكاه الرّسول(ص) والرّسل والأنبياء(ع) عن الله، ولا يلحظ فيه التّواتر ولا الإعجاز ولا الطّهارة عند لمسه.

وأمّا الحديث النّبويّ فهو ما ورد عن الرّسول الأكرم محمّد(ص) من قول -غير القرآن والحديث القدسيّ- أو فعل أو تقرير أو صفة. وأدخل البعض فيه أيضًا تاريخ حياته(ص) قبل البعثة وبعدها.

الأسماء والصّفات

الأسمـــاء

أشهر أسماء القرآن الكريم خمسة، هي:

١. **القرآن**: {وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ}(الإسراء:٨٢).

٢. **الكتاب**: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}(فاطر:٣٢).

٣. **الفرقان**: {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ} (الفرقان:١).

٤. **الذّكر**: {وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}(الأنبياء:٥٠).

٥. **التّنزيل**: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(الشّعراء:١٩٢).

الصّفات

من صفات القرآن الكريم، أنّه: (١)**مجيد** {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ}(البروج:٢١). (٢)**كريم** {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ}(الواقعة:٧٧). (٣)**عظيم** {وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}(الحجر:٨٧). (٤)**عزيز** {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ}(فصّلت:٤١). (٥)**حكيم** {وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ}(يس:٢). (٦)**مبين** {وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ}(الحجر:٢).

الخصائص والفضائل

الخواصّ والخصائص

بيّن القرآن الكريم والرّوايات الشّريفة خواصّ القرآن وخصائصه، والّتي منها:

أنّه تنزيل من حكيم حميد	أنّه معجز لا يُؤتى بمثله
أنّ فيه تبيان كلّ شيء	أنّه لا يمسّه إلا المطهرون
أنّ الله سبحانه تعهّد بحفظه	أنّه نور لا تطفأ مصابيحه
أنّه الخاتِم والمُصدِّق والمُهيمن	أنّه شفاء ورحمة
أنّه كتاب مبين	أنّه شاهد(ماحل) مُصدَّق
أنّ له ظهرًا وبطونًا	أنّه شافع مُشفّع
أنّه حبل الله المتين	أنّه أثافيّ الإسلام وبنيانه
أنّه لا يأتيه الباطل مطلقًا	أنّه بحر لا يدرك غوره
أنّه يلزم تعلّمه وتعليمه والاتعاظ به	أنّه مُغتبِطة به أشياعه
أنّه يحرم إهانته أو تدنيسه	أنّه قائد إلى الرضوان اتباعه

الفضائــل والآثـــار

وردت العديد من الأحاديث الشريفة في فضائل القرآن وآثاره، منها:

(١) عن رسول الله (ص): "يا سلمان عليك بقراءَة القرآن فإنّ قراءَته كفّارة للذّنوب، وستر من النّار، وأمان من العذاب، ويُكتب لمن يقرأ بكلّ آية ثواب مائة شهيد، ويُعطى بكلّ سورة ثواب نبيّ مرسل، وتنزل على صاحبه الرّحمة، وتستغفر له الملائكة، واشتاقت إليه الجنّة ورضي عنه المولى. وإنّ المؤمن إذا قرأ القرآن نظر الله إليه بالرّحمة، وأعطاه بكل حرف نورًا على الصراط. يا سلمان إنّ المؤمن إذا قرأ القرآن فتح الله عليه أبواب الرّحمة، وخلق الله بكلّ حرف يخرج من فمه مَلَكاً يسبِّح له إلى يوم القيامة".

(٢) وقال رسول الله (ص): "من قرأ ثُلُثُ القرآن فكأنّما أُوتي ثلث النّبوة، ومن قرأ ثلثي القرآن فكأنّما أُوتي ثلثي النّبوة، ومن قرأ القرآن كلّه فكأنّما أُوتي تمام النّبوة. ثم يُقال له: اقرأ وارقَ، بكلّ آية درجة فيرقى في الجنّة بكلّ آية درجة حتى يبلغ ما معه من القرآن، ثم يُقال له: اقبض فيقبض، ثم يقال له: هل علمت ما في يدك؟ فيقول: لا، فإذا في يده اليمنى الخلد، وفي الأُخرى النَّعيم".

الأزليّة والحُدوث

التّعريف

الأزليّ	ما لا أول له، فهو لم يسبق بالعدم. فهل القرآن أزليّ(قديم)؟
الحادث	ما يَجدّ ويُخلق، فقد سُبق بالعدم. فهل القرآن حادث(مخلوق)؟

آراء المذاهب الإسلاميّة

الحنابلة	القرآن قديم؛ لأنّه كلام الله الأزليّ القائم بذاته، المكتوب في المصحف، والمتلوّ بالألسن. فالكلام (القرآن) صفة من صفات الذّات الإلهيّة، ولهذا فهو أزليّ أبديّ.
الأشاعرة	القرآن قديم؛ لأنّه كلام الله النّفسيّ القائم في الذّات المقدّسة حقيقة لا مجازًا. وفي الخارج معنًى متلوّن: فهو في الذّهن محفوظ، وفي اللّسان مقروء، وفي الكتابة مكتوب.
المعتزلة	القرآن مخلوق؛ لأنّه كلام الله، والكلام ليس صفة من صفاته، بل هو فعل من أفعاله المخلوقة في اللّوح أو في الهواء أو غيرها، ثم اختلفوا في كونه عرضاً أو جوهراً.
الإماميّة	القرآن مخلوق؛ لأنّه كلام الله المحدث بنص القرآن {وَمَا يَأتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ}(الشعراء:٥)، فلو كان القرآن قديماً لشارك الذّات المقدّسة الأزليّة والألوهيّة.

تعليق مُجْمَل

* أصل الاختلاف بين المذاهب الإسلاميّة في مسألة خلق القرآن يعود إلى هذا السّؤال: هل كلام الله صفة أزليّة أم حادثة؟ فمن جعله أزليّاً، قال بقِدم القرآن. ومن جعله حادثًا، قال بخلق القرآن. وهذا السّؤال نفسه ناشئ من شبهة عقديّة أثارها يوحنا الدمشقي، وهي: إذا كان القرآن مخلوقًا فهو منفصل عن ذات الله المقدّسة كباقي المخلوقات، وإنْ كان غير مخلوق فهو أزليّ، مثل النّبي عيسى(ع) الأزليّ؛ لأنّه كلمة الله.

* اعتبار الحنابلة أزليّة القرآن ناشئة من كونه صفة لله تعالى، فيه خلط بين (الكلام) الحادث وصفة الفعل (التّكلّم) الأزليّة التي نفاها المعتزلة، حيث ذهبوا إلى نفي الصّفات عن ذات الله تعالى. واعتبار الأشاعرة الأزليّة في (المعنى النّفسيّ)، هو أنّه ممّا لا يُتعقّل في الله تعالى، بل فيه شبهة التّجسيم.

* في الوقت الذي بيّن أئمّة أهل البيت(ع) الحقيقة في مسألة خلق القرآن وأنّه مخلوق، إلّا أنّهم كانوا حذرين عند الخوض فيها؛ لأنّها أثيرت لأغراض سياسيّة، فيما عُرف بـ"محنة خلق القرآن" في التّاريخ الإسلاميّ.

الثّبوت والحُجيّة

الثّبوت

التّعريف

الثّبوت لغةً الرّسوخ، ويقصد به: القطع بصحة نسبة القرآن الكريم إلى الله سبحانه وتعالى، والقطع بصحّة صدوره عن الرّسول(ص) وسنده إليه. حيث اتّصلت روايته عنه(ص) جيلًا فجيلًا إلى أن وصل إلينا دون زيادة أو نقصان.

الأدلّة

(١) إنّ القرآن الكريم تحدّى الإنس والجنّ أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة من مثله فعجزوا. وعجزهم دليل صدوره عن الله سبحانه وتعالى.

(٢) إنّ القرآن الكريم منقول إلينا بالتّواتر، ويعني: أنّ القرآن رواه عن الرّسول(ص)، في كلّ طبقة، عدد من النّاس يستحيل تواطؤهم على الكذب.

الحُجيّة

التّعريف

الحُجيّة مصدر صناعيّ من الحُجّة، وهي الدّليل. ويقصد بها: دليليّة القرآن في كشفه وحكايته عن الواقع في نفسه، فيما يخبر عنه ويرشد إليه ويأمر به.

الأدلّة

(١) القرآن ذاته، حيث تؤكّد آياته على حجيّته، باعتباره مصدر التّشريع والهداية، يقول تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ*يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}(المائدة:١٥-١٦).

(٢) السّنة القوليّة والفعليّة للرّسول(ص) والأئمّة المعصومين(ع) دالّة على حجيّة القرآن. فمن السّنّة القوليّة ما تواتر من كلامهم(ع) في اتّباع القرآن والعمل به وتحكيمه. ومن السّنّة الفعليّة عملهم بما أُنزل في القرآن. فحين نزل حكم الصوم كان الرّسول(ص) أوّل العاملين به.

(٤) العقل، فالله خلق النّاس للرّحمة لا عبثاً؛ وهذا يقتضي إرشادهم للخير.

(٣) الإجماع من قبل المسلمين كافّة أنّ القرآن حجّة في كل جوانب الحياة.

1 السّلامة والإعجاز

تعريف سلامة النّصّ القرآنيّ

عدم حصول التّصرّف -المقصود وغير المقصود- في القرآن المنزل على الرّسول الأكرم محمد(ص) على مستوى ألفاظ النصّ بالتغيير أو التّبديل أو الحذف أو التّحويل.

أدلّة سلامة النّصّ القرآنيّ

(١) الحصانة التّكوينية للقرآن الكريم، والتي نصّ عليها القرآن في آية الحفظ (الحجر:٩)، وآية نفي الباطل عنه (فصّلت:٤٢)، وآية الجمع (القيامة:١٦-١٩).

(٢) الأحاديث الشّريفة الصّادرة عن الرّسول الكريم(ص) وأهل بيته(ع) النّاصّة على صيانة القرآن من التّحريف، والدّاعية إلى جعله ميزانًا للحكم على الرّوايات.

(٣) إجماع الأمّة جيلاً بعد جيل على نفي تحريف القرآن، وتواتره تواترًا قطعيًا عبر القرّاء والحفّاظ عن رسول الله(ص) عن جبريل(ع) عن الله سبحانه وتعالى.

(٤) إعجاز النّصّ القرآنيّ من حيث بلاغته بصدق معانيه وإحكام صياغته وسبكه من جهة، ومن جهة أخرى، احتواؤه على المحكم والمتشابَه، إضافةً إلى خطابه العامّ غير المخصِّص غالبًا، والّتي من شأنها أن تمنع التّصرّف في كلماته وآياته وسوره.

الموقف من التّحريف اللّفظيّ

على مستوى الاعتقاد، فإنّ جميع الفرق الإسلاميّة تعتقد بسلامة النّصّ القرآنيّ من التّحريف اللّفظيّ، ماعدا الحشويّة وبعض أهل الحديث والفرق الضّالة. أمّا على مستوى الرّوايات والأخبار، فإنّ المدوّنات الرّوائيّة تتضمّن رواياتٍ وأخبارًا تشير إلى التّحريف.

ومع ذلك، فقد عُولجت روايات وأخبار التّحريف بما يؤدي إلى تأكيد سلامة النّصّ القرآنيّ من التّحريف. فالسّنة حملوها على نسخ التّلاوة والإنْساء. أما الشّيعة الإماميّة فقد حملوها على التّفسير والتّأويل أو التّحريف المعنويّ لا اللفظيّ.

2 السّلامة والإعجاز

تعريف الإعجاز

(الإعجاز) الفوت وعدم القدرة، ووجدان العجز وإحداثه. و(المعجزة): ما يأتي به مدّعي النّبوة، بعناية الله وإقداره، من أمر خارق للعادة، وخارج عن القدرة البشريّة وقوانين العلم والتّعلّم، ليكون دليلًا على صدق دعواه. ولم يكن هذا المصطلح معروفًا في عصر النّبوّة، وإنْ وجد معناه، حيث كانت كلمة (آية) وجمعها (آيات) تعبّر عن معنى معجزة.

مراحل التّحديّ

واجه العرب المشركون القرآن بالتّكذيب والتّشكيك، فتحدّاهم أنْ يأتوا بمثله. وقد مرّ التّحدي بمراحل ثلاث: فبداية تحدّاهم أنْ يأتوا بمثله: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ}(الطور:٣٨). ثمّ تحدّاهم أنْ يأتوا بعشر سور من مثله: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}(هود:١٣)، وأخيرًا أنْ يأتوا بسورة من مثله: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}(يونس:٣٨). وحين عجزوا، قال سبحانه: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}(الإسراء:٨٨). ولايزال هذا التّحدّي قائمًا.

سرّ إعجاز القرآن

أرجع بعض المحقّقين سرّ إعجاز القرآن إلى ما تضمّنه من تشريع كامل صالح لكلّ زمان ومكان، وما حواه من أخبار الأمم السّابقة، وما أخبر به من مغيّبات ستحدث في المستقبل، وكذلك ما اشتمل عليه من حقائق علميّة عن الكون والإنسان...، ولاشكّ أنّ هذه الإخبارات والحقائق تعدّ بحقّ من موارد الإعجاز.

غير أنّ إرجاع إعجاز القرآن إلى هذه الأمور إنما يُثبت المزيّة للقرآن كاملًا. فماذا عن السّور القلائل التي لا تشريع فيها ولا غيب ولا علوم؟ والتي سُحِر بها العرب حين سمعوها. ولذا، فقد رأى أغلب المحقّقين أنّ سرّ الإعجاز يعود إلى فصاحة لفظه، وحسن نظمه، وسموّ معانيه، وسحر تصويره، وبداعة أسلوبه الذي لا مثيل له من شعر ونثر.

1 العلوم والمباحث

التّعريف

مجموع العلوم والمباحث والمعارف المتّصلة بالقرآن الكريم، أو المتعلّقة بجوانب منه.

الفرق بين علوم القرآن وأصول التّفسير وقواعد التّفسير

علوم القرآن هي كلّ ما يتعلّق بالقرآن من معارف وعلوم، أمّا أصول التّفسير فهي المبادئ والأسس والشّروط الّتي يلزم مراعاتها عند التّفسير، أمّا قواعد التّفسير فهي الكليّات الّتي تُستخدم في التفسير.

مراحل التّطوّر

(الأولى): امتزاج علوم القرآن مع التّفسير الشّفويّ والكتابيّ: من بداية النّزول إلى نهاية القرن الثّاني الهجريّ. حيث أُخذت مسمّيمات علوم القرآن تظهر في تفسير الرّسول وأهل بيته(ع)، ومع أوائل القرن الثّاني بدأ التّصنيف بشكل جزئيّ في أحد علوم القرآن، كـ"نزول القرآن" للخراسانيّ(ت:١٠٥هـ) و"كتاب العدد" للبصريّ(ت: ١١٠هـ) و...

(الثّانية): الجمع الجزئي لعلوم القرآن: وتستمرّ من القرن الثّالث إلى نهاية القرن الثّامن الهجريّ. فقد استمرّ حال التّصنيف في علوم القرآن كالسّابق مع بروز كتب تفسيريّة مرتّبة حسب موضوعات علوم القرآن، كـ"الاستغناء في تفسير القرآن" للأُدفُوي(ت٣٨٨هـ)، و"البرهان في تفسير القرآن" للحوفيّ(ت٤٣٠هـ). إضافة إلى الاتّجاه في التّصنيف نحو جمع مجموعة من علوم القرآن في كتاب واحد. مثل: "فهم القرآن" للمحاسبيّ(ت٢٤٣هـ)، و"فنون الأفنان في عيون علوم القرآن" لابن الجوزيّ(ت٥٩٧هـ)، و"جمال القرّاء وكمال الإقراء" للسّخاويّ(٦٤٢هـ)، و"المرشد الوجيز إلى علوم تتعلّق بالكتاب العزيز" لأبي شامة المقدسيّ(ت٦٦٥هـ).

(الثّالثة): الجمع الكُليّ لعلوم القرآن وتشقيقها: وتبدأ من نهاية القرن الثّامن. حيث شُقّقت علوم القرآن المنبثقة(الأصيلة) إلى فروع، وتمّ إضافة علوم قرآنية أخرى مستنبطة، ابتداءً بكتاب "البرهان في علوم القرآن" للزّركشيّ(ت٧٩٤هـ) و"مواقع العلوم في مواقع النّجوم" للبُلقينيّ(ت٨٢٤هـ). و"الإتقان في علوم القرآن" للسّيوطيّ(ت٩١١هـ) وانتهاءً بـ"الزّيادة والإحسان" لابن عقيلة المكيّ(ت١١٥٠هـ). أمّا المعاصرون فاختصروا وأضافوا تحقيقات يسيرة، ككتاب "مناهل العرفان" للزّرقانيّ(ت:١٣٦٧هـ).

2 العلـــوم والمباحـــث

تصنيف العلوم والمباحث

شهدت نهاية القرن الثّامن الهجريّ زيادة واضحة في أعداد علوم القرآن، من خلال ربط بعض مباحث علوم اللغة والحديث والفقه والأصول بالقرآن الكريم، فأوصل الزّركشيّ علوم القرآن إلى (٤٨) علمًا، ثمّ البُلقينيّ (٥٢) علمًا، وجاء السّيوطيّ ليرفعها إلى (٨٠) علمًا، أمّا ابن عقيلة المكيّ فأحسن الزّيادة فبلغ بها إلى (١٥٤) علمًا. وهذا عرض لعلوم القرآن بعد إعادة تصنيفها إلى علوم ومباحث.

علوم القرآن ومباحثه

- **مباحث علم معرفة القرآن**
  - حقيقة القرآن
  - ثبوت القرآن
  - سلامة القرآن
  - وحى القرآن
  - حجيّة القرآن
  - أسماؤه وصفاته
  - خواصّه وفضائله
  - أحكامه وآدابه
  - ومباحث أخرى
- **مباحث علم تفسير القرآن**
  - أسباب النّزول
  - العامّ والخاصّ
  - النّص والظّاهر
  - المكيّ والمدنيّ
  - المُطلق والمُقيّد
  - مُبهمات القرآن
  - النّاسخ والمنسوخ
  - المُجمل والمُبيّن
  - آيات الأحكام
  - المُحكم والمُتشابَه
  - المُفسّر والمُؤوّل
  - ومباحث أخرى
- **مباحث علم لغة القرآن**
  - لغات القرآن
  - غريب القرآن
  - إعراب القرآن
  - الحقيقة والمجاز
  - الوجوه والنّظائر
  - ومباحث أخرى
- **مباحث علم تاريخ القرآن**
  - نزول القرآن
  - تدوين القرآن جمعه
  - التّرتيب والرّسم والضّبط
- **مباحث علم قراءة القرآن**
  - القراءات القرآنيّة
  - الوقف والابتـداء
  - التّـجويـد
- **مباحث علم إعجاز القرآن**
  - الإعجاز البلاغيّ
  - الإعجاز العلميّ
  - الإعجاز التّشريعيّ
  - الإعجاز العدديّ

القسم الثاني
مباحث علوم القرآن
1
المباحث التّاريخيّة
2
المباحث القرائيّة
3
المباحث التّفسيريّة

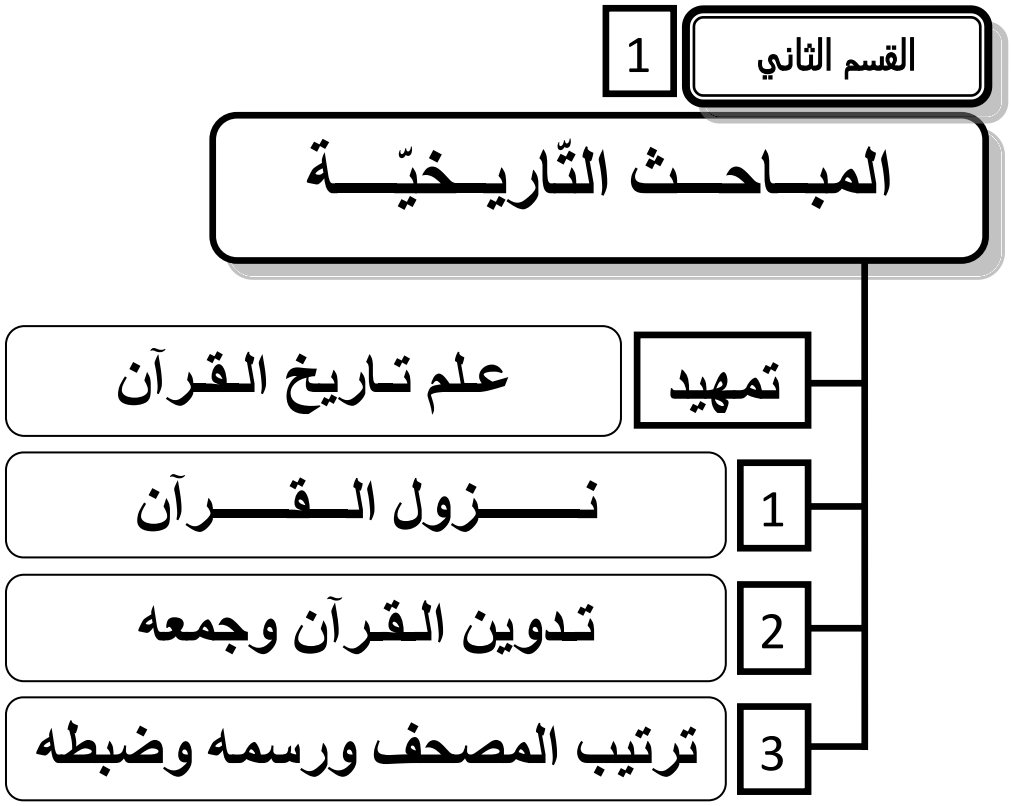
القسم الثاني
1
المبـاحــث التّاريـخيّـــة
تمهيد
علم تـاريخ الـقـرآن
1
نـــــزول الــقـــــرآن
2
تـدوين الـقـرآن وجمعه
3
ترتيب المصحف ورسمه وضبطه

المباحث التّاريخيّة

تمهيد: علم تاريخ القرآن

التعريف

مجال علميّ يدرس السّجل الزّمنيّ للقرآن الكريم، والتّفسيرات والأفكار المصاحبة لهذا السّجل. بدءاً من صدوره عن الله سبحانه، ومراحل تنزّله، وحركة نزوله، وكيفيّة تدوينه وجمعه، وانتهاءً بتأريخه كمصحف، وما صاحب هذا المصحف من تطويرات على مستوى الرّسم والضّبط والطّباعة.

الأهميّة

تتأتّى أهميّة علم تاريخ القرآن الكريم من:

١. أنّه يسهم في تكوين رؤية شاملة وصحيحة وموثّقة عن القرآن الكريم.
٢. أنّه يساعد في ردّ الشبهات المثارة حول القرآن الكريم قديماً وحديثًا.
٣. أنّه يبرهن على حجيّة القرآن الكريم، وإثبات صدق محتواه.

موجز تاريخيّ

من الثّابت تاريخيّاً أنّ المسلمين، ومنذ القرن الأوّل الهجريّ، قد أولوا بعض مباحث علوم القرآن الكريم عناية خاصة على مستوى الدّراسة والتّصنيف. فقد ألّفوا حول تفسير القرآن والنّاسخ والمنسوخ وقراءات القرآن واختلاف المصاحف وغيرها. وعنايتهم بها نابعة من كون القرآن مصدر الشّريعة.

ومع حركة الاستشراق الأوروبيّ الحديث، اهتمّ المستشرقون بمباحث تلقّي الرّسول(ص) للوحي وكيفيّة تدوين القرآن جمعه في المصحف واختلاف المصاحف، بصرف النّظر عن دوافعهم، في إطار عمليّة التّأريخ للقرآن الكريم. فظهر كتاب غوستاف فايل "مقدّمة تاريخيّة نقديّة للقرآن"، وكتاب "تاريخ القرآن" لنولدكه، وكتاب "مذاهب التّفسير الإسلاميّ" لجولدتسهير. وكتاب "القرآن، نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره" لبلاشير.

وهو الأمر الّذي دفع بمسألة التّأريخ للقرآن الكريم أن تبرز كعلم عند العلماء المهتمّين بالقرآن وعلومه، تحقيقاً وتأليفاً ودفاعاً.

1 نـــــزول القـــــرآن

تنزّلات القرآن

يُستفاد من الرّوايات الشّريفة أنّ للقرآن الكريم أربعة تنزلاتٍ، هي:

النّزول الملكوتيّ	من ربّ العزّة والجلال إلى اللّوح المحفوظ.
النّزول الملائكيّ	من اللّوح المحفوظ إلى البيت المعمور/بيت العزّة في السّماء.
النّزول الـدّفعيّ	من البيت المعمور/بيت العزّة في السّماء إلى قلب الرّسول(ص).
النّزول النّجوميّ	من البيت المعمور/بيت العزّة إلى قلب الرّسول(ص) مفرّقًا.

الوحي قناة النّزول

(الوحي) لغةً من (و ح ي)، وهو الإعلام الخفيّ السّريع. ويشمل الإشارة، والكتابة، والإلهام، والكلام الخفيّ. وفي الاصطلاح هو إعلام الله سبحانه مَنْ اصطفى من عباده، رسالاته وهديه إليه أو إلى النّاس، بكيفية خاصةٍ يعيها الموحى إليه دون اشتباه.

كيفيّات النّزول

{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الشّورى:٥١-٥٢).

الوحي القرآنيّ

الوحي المباشر	إرسال الرّسل
دون واسطةٍ بين الله سبحانه والرّسول (ص). وهو أشدّها عليه حيث يتفصّد عرقًا ويثقل جسمه وتعتريه غشوة.	بتوسّط ملك الوحي جبرائيل(ع) بينهما دون سائر الملائكة. وكان إذا أتى الرّسول (ص) استأذنه فيراه ويكلّمه قبلًا.

2 نزول القـــــرآن

صيغة النّزول

إنّ الذي أوحي إلى الرّسول(ص) هو القرآن لفظه ومعناه؛ بدليل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا}(الشورى:٧). وقد شذّ البعض بقولهم: إنّ جبرائيل نزل بالمعاني خاصةً، وأنّ الرّسول(ص) عبّر عن تلك المعاني بلغة العرب.

بداية النّزول ونهايته

بدأ نزول القرآن الكريم على الرّسول الأكرم(ص) ليلة القدر [اللّيلة ٢١ أو ٢٣] من شهر رمضان المبارك، كما تصرّح بذلك الآيات: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ}(البقرة:١٨٥)، و{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ}(الدخان:٣)، و{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}(القدر:١). وكما صرّحت بذلك الرِّوايات عن المعصومين(ع). وكان عمره(ص) ثلاثة وأربعين عامًا. فبينما كان الرّسول(ص) يتعبّد بغار حراء إذ هبط جبرائيل(ع) إليه فقال: اقرأ؟ قال: وما أقرأ؟ قال: يا محمد {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ*لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ*تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ*سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}(القدر:١-٥).

وآخر ما نزل من الآيات آية (إكمال الدّين) في غدير خم: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}(المائدة:٣). وقيل، آخر ما نزل قوله: {وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}(البقرة:٢٨١). أمّا آخر ما نزل من السّور، فكانت سورة النّصر.

مدّة النّزول

بناءً على التّفريق بين البعثة النّبوية المباركة[٢٧ رجب] ونزول القرآن الكريم [ليلة القدر]، حيث نزل القرآن بعد ثلاث سنوات من بعثته(ص)، كما ذهبت الشّيعة الإماميّة، فإن مدّة نزول القرآن استغرقت عشرين عامًا، بدأت بدخول السّنة الرّابعة من البعثة وخُتمت في السّنة العاشرة للهجرة النّبويّة. أما عند الفرق الأخرى، والّتي قرنت البعثة بالنّزول معًا في شهر رمضان، فإنّ مدّة نزول القرآن استغرقت ثلاثة وعشرين عامًا.

1 تدوين القــرآن وجمعه

تـعريـف الـتّـدويـن

(التّدوين) من الفعل دوّن، أي: كتب. وتدوين القرآن: هو تحويل(نقل) القرآن الكريم من حالة الكلام إلى حالة الكتابة. وهي العمليّة التي قام بها الرّسول(ص) بصورة علنيّة كلّما نزل شيء من آيات القرآن وسوره، حيث كان يدعو مَن يدوّنه في حضوره(ص).

وســائـــل التّـــدوين

نظرًا لبداءة صنعة الكتابة في الجزيرة العربيّة عند ظهور الدّعوة الإسلاميّة، فقد دُوِّن القرآن على الرّقاع: قطعة من جلد أو قرطاس، والحرير: القماش المعروف، والعُسب: جريد النخل يكتب على الطّرف العريض منه، واللّخاف/الرّقاق: صفائح الحجارة الرقيقة، والأكتاف: عظم البعير أو الشّاة إذا جفّ، والأقتاب: الخشب الذي يوضع على ظهر البعير، والفخّار: الطّين المفخور بالنّار، والكرانيف: أصول سعف النّخل، والشّظاظ: الخشبة العقفاء، والأسيار: قدّة من الجلد مستطيلة، والألواح: الأخشاب.

المدوِّنون (كتّاب الوحي)

خصّ رسول الله(ص) مجموعة ممّن يعرفون القراءة والكتابة من الصّحابة لتدوين الوحي القرآنيّ النّازل عليه. وعمدة هؤلاء الكتّاب الإمام عليّ بن أبي طالب(ع)، فقد دوّن له بمكّة واستمر مدّة حياته(ص). وكان من مميّزاته(ع) أنّه لم يفته شيء من الوحي القرآنيّ إلّا وسمعه من الرّسول(ص) ودوّنه، بل إنّه(ص) أملى عليه التّنزيل والتّفسير والتّأويل. كما كتب له في مكّة عبدالله بن أبي السّرح، وقد هاجر إلى المدينة، ثمّ ارتدّ، وقيل ثمّ تاب. وفي المدينة كتب له أبيّ بن كعب الأنصاريّ. وكان إذا غاب الإمام(ع) وأبيّ، أرسل الرّسول(ص) إلى غيرهما ليدوّنوا له، في الرّقاع وغيرها.

"لا يعقل في حال أن لا يكون فيها (المدينة المنورة) وسائل مدنيّة للكتابة، وأن لا يوجد ما يدوّن عليه إلا ألواح العظام (...) فمن المحتمل أن يكون النّبيّ إذ يستدعي أحد كتابه لإملاء ما يكون نزل عليه من وحي فورًا أن لا يكون متيسّرًا إلّا شيء من هذه الوسائل البدائيّة، فيكتب الكاتب عليها ما يمليه النّبيّ ريثما ينقله إلى مكانه من سجلات القرآن". [محمد عزّة دروزة، التفسير الحديث. نقلًا عن: نصوص في علوم القرآن، السيد علي الدّاراربي: ٣/٤٤١-٤٤٣].

2 تدوين القــرآن وجمعه

هل جمع الرّسول(ص) القرآن؟

الاتّجاه الأوّل

الرّأي

كان القرآن الكريم مجموعًا في حياة الرّسول الأكرم(ص) جمعًا ترتيبيًّا، حفظًا في الصّدور وتدوينًا في القراطيس و..، لكن لم يتخذ الجمع صورة مصحف.

القائلون

وهذا رأي جماعة كبيرة من علماء الشّيعة الإماميّة، وإنْ خالف البعض قديمًا وحديثًا. كما إنّه رأي جماعة من المذاهب الأخرى قديمًا وحديثًا.

الأدلّـــــة

استدلّ القائلون بهذا الرّأي بالآتي:

١. أنّ الرّوايات دالّة عليه (رواية معارضة جبرائيل الرّسول في كلّ سنة).
٢. أنّ جماعة من الصّحابة ختموا القرآن حفظًا بين يدي الرّسول(ص)، وأنّ منهم من جمع القرآن كتابةً في عهده(ص).
٣. أنّ ذلك موافق لحكم العقل بوجوب اهتمام الرّسول(ص) بالقرآن.
٤. أنّ كلمتي "الكتاب" و"المصحف" الواردتين في القرآن والأحاديث لايصحّ أنْ تطلق إلّا على القرآن كلّه منسّقًا ومترابطًا.

الاتّجاه الآخر

الرّأي

توفيّ الرّسول(ص) والقرآن محفوظ في صدور الرّجال دون ترتيب محدّد لسوره، ومدوّن كلّه بشكل مفرّق في العُسب واللّخاف و..؛ نظرًا لترقّب نزوله.

القائلون

هذا رأي جماعة كبيرة من علماء المذاهب الأخرى على اختلافها، وإنْ خالف البعض قديمًا وحديثًا. كما إنّه رأي جماعة من الشّيعة الإماميّة قديمًا وحديثًا.

الأدلّـــــة

استدلّ القائلون بهذا الرّأي بالآتي:

١. أنّ معارضة القرآن وختمه بمعنى قراءة السّور دون لحاظ ترتيب بينها.
٢. أنّ حفظ القرآن بمعنى الاحتفاظ بجميع القرآن من الضّياع والتّفرّق.
٣. أنّ ترتيب السّور عند من كتب القرآن في حياته(ص) وبعدها مختلف.
٤. أنّ (الكتاب والمصحف) يصحّ أن تطلق على الكلّ والبعض من القرآن. ولفظ القرآن لكونه مقروءًا، والمصحف لكونه مكتوبًا في صحف.

3 تدوين القــرآن وجمعه

الجمع بعد عهد الرّسول(ص)

١ جمعُ أمير المؤمنين(ع).. مصحف التّفسير والتّأويل

أوصى الرّسول(ص)، قبل وفاته، الإمام عليّ بن أبي طالب(ع) أن يجمع القرآن، حين قال له: "يا عليّ، لا تخرج ثلاثة أيام حتّى تؤلف كتاب الله، كي لا يزيد فيه الشّيطان ولا يُنقِص منه شيئًا". وفي نص آخر: "يا عليّ، القرآن خلف فراشي في الصّحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التّوراة". وفي نص ثالث: "والذي بعثني بالحق، لئن لم تجمعه بإتقانٍ لم يُجمع أبدًا".

ولمّا توفّي الرّسول(ص) ورأى الإمام(ع) ما صنع النّاس وقلّة وفائهم له، لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلّفه ويجمعه. وكان في الصّحف والأسيار والرّقاع، فلمّا جمعه كلّه وكتبه بيده على تنزيله وتأويله والنّاسخ منه والمنسوخ، بعث إليه أبوبكر أنْ اخرج فبايع، فبعث إليه الإمام(ع): "إنّي مشغول، وقد آليت على نفسي يمينًا أن لا أرتدي رداءً إلّا للصّلاة حتّى أؤلف القرآن وأجمعه". فسكتوا عنه أيامًا، فجمعه في ثوب واحد وختمه، ثم خرج إلى النّاس وهم مجتمعون مع أبي بكر في مسجد رسول الله(ص)، فنادى(ع) بأعلى صوته:

"يا أيّها النّاس، إنّي لم أزل منذ قبض رسول الله(ص) مشغولًا بغسله، ثمّ بالقرآن، حتى جمعته كلّه في هذا الثّوب الواحد، فلم يُنزل الله تعالى على رسول الله(ص) آية إلّا وقد جمعتها، وليست منه آية إلّا وأقرأنيها رسول الله(ص) وعلّمني تأويلها".

ثمّ قال لهم الإمام(ع): لئلا تقولوا: {إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ}(الأعراف:١٧٢). ثمّ قال: "لئلّا تقولوا يوم القيامة أنّي لم أدعكم إلى نصرتي ولم أذكّركم حقّي، ولم أدعكم إلى كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته". فقال أحدهم: ما أغنانا بما معنا من القرآن عمّا تدعونا إليه.

صفة قرآن الإمام عليّ(ع)

قال أمير المؤمنين عليّ(ع) عن صفة القرآن، الّذي جاء به للقوم بعد وفاة الرّسول(ص)، في جملة جوابه أحد الزّنادقة: "ولقد أحضرت الكتاب كمّلًا مشتملًا على التّأويل والتّنزيل، والمُحكم والمُتشابَه، والنّاسخ والمنسوخ، فلم يسقط منه حرف ألفٍ ولا لام. فلمّا وقفوا على ما بيّنه الله من أسماء أهل الحق والباطل، وإنّ ذلك إن ظهر نقض ما عهدوه، قالوا: لا حاجة لنا فيه، نحن مستغنون عنه بما عندنا".

4 تدوين القــرآن وجمعه

الجمع بعد عهد الرّسول(ص)

٢ جمعُ أبي بكر.. مُصحف الضّرورة

بعد تولى أبوبكر الخلافة، ومن أجل القضاء على حالة الاضطراب بسبب حركة الرّدّة، تواجه المسلمون مع مسيلمة الكذّاب في معركة اليمامة(١١ هـ)، حيث استحرّ(اشتدّ) القتل بقرّاء القرآن فيها. فأتى عمرُ بن الخطاب أبا بكر فقال: "إنّي أخشى أنْ يستحرّ القتل بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن". فطلب أبوبكر من عمر وزيد بن حارثة أن يجمعاه. فأخذ زيد يجمعه، فإذا شهد شاهدان على آية كتبها، وإذا لم يشهد عليها غير واحد لم يكتبها. وقد استغرق إنجاز العمل ما يقارب السنة قبل وفاة أبي بكر، فكانت النّسخة عنده بقيّة حياته، ثمّ أخذها عمر بعده، فلمّا مات كانت عند حفصة ابنته.

٣ جمعُ عثمان.. مُصحف القِراءة

بعد اتّساع الفتوحات الإسلاميّة وتفرّق قرّاء القرآن الكريم في الأمصار، صار كلّ إقليم يأخذ بقراءة من اشتهر بينهم من الصّحابة، فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة. واستفحل الدّاء حتى كفّر بعضهم بعضًا. وقد أفزع حذيفة بن اليمان اختلافُ أهل الشام والعراق في القراءة وهم في غزوة بقاع أرمينية وأذربيجان. فقدم على عثمان بن عفّان في المدينة المنوّرة، فقال له: "أدرك هذه الأمّة قبل أن يختلفوا في الكتاب". فأرسل عثمان إلى حفصة أنْ أرسلي إلينا بالمصحف نستنسخه ثم نردّه إليكِ، فأرسلته إليه. فأمر عثمانُ زيدَ بن حارثة ومجموعة من الصحابة أنْ يستنسخوا القرآن بلسان قريش، ففعلوا. ثم أرسل إلى كلّ أُفق بمصحف، فأرسل إلى مكّة والكوفة والبصرة والشّام واليمن والبحرين، وأبقى واحدًا في المدينة. وأمر بما سواه من القرآن، في كلّ صحيفة أو مصحف، أن يُحرق.

"لو ثبت ما قالوه لأمكن ادّعاء وقوع التّحريف في الكتاب العزيز؛ لأنّ العقل لا يمكنه أنْ يثبت بأنّ المجموع من قبل الخلفاء هو جمعٌ لجميع القرآن، بل يمكن أنْ يكون قد سقط منه شيء أو أضيف إليه شيء(...) وذلك لعدم تصدّر المعصوم لجمعه وتدوينه وترتيبه له، بل إنّ جمعه قد حصل بعد وفاته(ص)، وفي أيام الفتنة وظهور البدع". [السّيد علي الشّهرستانيّ، جمع القرآن:٣٤٩/١].

1 ترتيب المصحف ورسمه وضبطه

بعملية نقل القرآن الكريم من المشافهة إلى التّدوين منذ عهد الرّسول الأكرم(ص)، ومن التّدوين إلى الجمع في المصحف كما أسلفنا، تبدأ مرحلة جديدة من مراحل القرآن التّاريخيّة، بما يصطلح عليه بـ"تاريخ المصحف". والّذي يُتناول فيه مسائل من قبيل مرّات جمع القرآن وترتيبه وعدد المصاحف، ثمّ تطورات الرّسم والضّبط، إضافة إلى أنواع الخطوط وأعداد النّسخ وملابسات الطّباعة الحديثة وغيرها.

وما يعنينا منها –هنا– ثلاث مسائل، هي: ترتيب الآيات والسّور، ورسم القرآن وضبطه.

الآيات القرآنيّة

التّعريف

الآيات لغةً العلامة والمعجزة. أما اصطلاحًا، فطائفة من حروف أو كلمات القرآن الكريم، ذات مبدأ ومقطع، منقطعة عمّا قبلها وما بعدها، ومندرجة في سورة محدّدة.

هل البسملة آية؟

الاتّفاق على أنّها بعض آيةٍ في سورة (النّمل:٣٠). وفي غيرها قيل: (١) إنّها ليست آية، وإنما جيء بها للتيمّن والبركة. (٢) إنّها آية في سورة الفاتحة وحدها. (٣) إنّها آية في كلّ سورة ماعدا سورة التّوبة(براءة)؛ لأنّها نزلت لرفع الأمان. وهو قول الشّيعة الإماميّة، فعن الباقر(ع): "سرقوا أكرم آية في كتاب الله بسم الله...".

التّرتيب

الإجماع على أنّ ترتيب الآيات في السّور توقيف الرّسول(ص)، فكان يأمر بثبت آيات في سورة معيّنة، إنْ لم تنزل آيات السّورة كلّها ابتداءً، حتى يكتمل ترتيبها في السّورة. وكان يعرف اكتمال الآيات في السّورة بنزول البسملة مع الآيات الجديدة.

العدد

اُختلف في عدد آيات القرآن، فقالوا أرقامًا تتراوح بين العددين (٦٠٠٠) و(٦٦٦٦) آيةً. والاختلاف عائد إلى أنّ الرّسول(ص) كان يقف على رؤوس الآي للتّوقيف، فإذا عُلم محلّها وصل للتّمام، فيحسب السّامع أنّها ليست فاصلة(آخر الآية). والعدد الصّحيح المشهور عدد أهل الكوفة (٦٢٣٦) آيةً، وهو مسند إلى الإمام عليّ بن أبي طالب(ع).

الحروف المُقطّعة في فواتح السّور

تكرّرت الحروف المقطّعة في فواتح السّور (٢٩) مرةً، بتكرار (١٤) حرفًا. وأشهر ما قيل في تفسيرها: (١)إنّها سرّ بين الله تعالى ورسوله(ص). (٢)إنّها اسم من أسماء الله تعالى. (٣)إنّها أسماء للسّور التي استُهلّت بها. (٤)إنّها جاءت للتّحدّي والإعجاز، وبيان أنّ القرآن الذى أعجز العرب مؤلفٌ من هذه الحروف.

2 ترتيب المصحف ورسمه وضبطه

السّور القرآنيّة

التّعريف

السّور لغةً الشّرف والارتفاع. وهي مجموعة من الآيات القرآنيّة الكريمة لا تقلّ عن ثلاث آيات، مُسمّات باسم خاص، لها آية فاتحة وأخرى خاتمة، وتُعرف بالتّوقيف.

الأسماء

وفق القائلين بجمع الرّسول(ص) للقرآن، فإنّ أسماء السّور القرآنيّة جميعها توقيف الرّسول(ص) بحسب الرّوايات الشّريفة، وإنّ بعض السّور لها أكثر من اسم. أما وفق القائلين بعدم جمع الرّسول(ص) للقرآن، فإنّ أسماء القرآن اجتهاديّة من قبل الصّحابة، أو بعض الأسماء اجتهاديّ، وإنّها لم تظهر إلّا في جمع عثمان بن عفان، أو بعد ذلك.

التّرتيب

لا نقصد هنا ترتيب التّنزيل، وإنْ اختلف فيه. بل ترتيب التّلاوة؛ لأنّه التّرتيب الذي عليه القرآن الآن. فقد ذهب القائلون بجمع الرّسول(ص) للقرآن، إلى أنّ ترتيب السّور توقيف الرّسول(ص). وذهب القائلون بعدم جمع الرّسول(ص) للقرآن، إلى أنّ ترتيب السّور في المصحف ظهر في مصحف أبي بكر. بل قيل: إنّ هذا التّرتيب لم يظهر إلّا في مصحف عثمان؛ لأنّ جمع أبي بكر استهدف حفظ سور القرآن في مصحف فقط.

العدد

عدد سور القرآن المتّفق عليه (١١٤) سورة، وقد ذهب بعضهم إلى أنّه (١١٣) سورة، حيث عدّوا سورة (التّوبة) وسورة (الأنفال) سورةً واحدة؛ لعدم وجود البسملة بينهما.

الأقسام

تُقسّم السّور القرآنيّة بحسب الطّول إلى أربعة أقسام: (١) الطّوّل: وهي السّبع السّور الأولى بعد الفاتحة. (٢) المَئين: تأتي بعد الطّوّل وتزيد أو تقارب مائة آية. (٣) المثاني: لثانيتها بعد المئين أو تكرّر الأخبار والمواعظ فيها، وتقلّ آياتها عن مائة. (٤) المفصّل: لكثرة الفصل بين آياتها، أو لكثرة الفصل بالبسملة بين سورها، وهي السّور القصار.

التّناسب بين السّور

أشار العلماء إلى وجود تناسب بين سور القرآن وآياته. والتّناسب هو جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، من حيث ترابط المعاني والموضوعات. وهذا سرّ من أسرار إعجازه. والمناسبة تكون بين الآية الواحدة بما قبلها وما بعدها، وبين فاتحة السّورة وخواتيمها، وبين فاتحة السّورة وخاتمة السّورة التي قبلها.

ترتيب المصحف ورسمه وضبطه 3

الرّسم القرآنيّ

التّعريف

الرّسم لغةً الأثر، وهو مصطلح يُستخدم لبيان الكيفيّة التي كَتب بها الصحابة المصاحف القرآنية في عهد عثمان بن عفان، فعرف باسمه. وكان يطلق عليه بـ"علم الهجاء". والرّسم والخطّ بمعنى واحد إلا أنّ الخطّ يُشير إلى الجانب الفنيّ منه.

الخصائص

تميّز الرّسم القرآنيّ عن الرّسم القياسيّ بعدّة خصائص، هي على وجه الاختصار:

(١) الحذف: حذف الألف والياء والواو واللّام والنّون. مثل: {ٱلرَّحۡمَٰنِ}(الفاتحة:٣).

(٢) الزّيادة: زيادة الألف والياء والواو. مثل: {أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ}(النمل:٢١).

(٣) البدل: رسم الألف واوًا، أو ياءً، ورسم الهاء تاءً. مثل: {ٱلنَّجَوٰةِ}(غافر:٤١).

(٤) أحكام الهمزات: المتقدّمة والمتوسّطة والمتطرّفة. مثل: {شُفَعَٰٓؤُاْ}(الروم:١٣).

(٥) الفصل والوصل: للكلمات التي فيها إدغام. مثل: {أَمَّنۡ خَلَقَ}(النمل:٦٠).

تفسير الخصائص

الأول: التّخطئة: خصائص الرّسم من سوء هجاء الأولين في المصاحف؛ فقد اعتبر ما كُتب في المصحف، من كلمات لا يطابق رسمُها نطقَها، من الخطأ في الكتابة. فمثلاً: كلمة{شُفَعَٰٓؤُاْ}(الروم:١٣) كتبت بصورة خاطئة والصحيح {شُفَعَاءُ}.. وهكذا.

الثّاني: التّقديس: خصائص الرّسم تدلّ على أسرار خفيّة أو معانٍ إضافية؛ حيث وجّه الزّيادة والحذف والبدل في الحروف، باختلاف المعاني والأسرار في كلماتها. فمثلاً: {أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ}(النمل:٢١) فزيادة الألف تعني أنّ ذبح الهدهد أشدّ من تعذيبه. وهذا الاتّجاه لا يستند إلى دليل، إلّا أن يكون قول الرّسول(ص) أو الأئمة(ع).

الثّالث: التّعليل: خصائص الرّسم تعود إلى علل لغويّة؛ معتبرًا أنّ المصاحف كُتبت بتقاليد الكتابة وطريقة الأداء الصّوتي للحروف والكلمات في ذلك العصر، والتي تمّ تجاوز الكثير منها الآن. فمثلاً: {ٱلرَّحۡمَٰنِ}(الفاتحة:٣) فحذف الألف عائد لحذفها، إذا وقعت وسط الكلمة، في الكتابة النّبطيّة التي تطورت منها الكتابة العربيّة.

4 ترتيب المصحف ورسمه وضبطه

الضّبط القرآنيّ

التّعريف

الضّبط لغةً الإحكام، وهذا المصطلح يُطلق على العلامات اللاحقة بحروف المصحف؛ لضبط إعجامها أو حركتها أو شدّها أو مدّها بما يزيل عنها اللّبس والخلط. حيث استحدثها التّابعون ومَن بعدهم، وكان يُعرف بـ"علم النّقط والشّكل".

كانت المصاحف التي كُتبت في عهد الرّسول(ص)وما بعده غير منقوطة ولا مشكولة. وهذا لم يمثّل مشكلة بالنّسبة للقرّاء؛ لتلقيهم القرآن بالمشافهة والحفظ في الصّدور، ولتعارف القارئين على تقاليد الكتابة في ذلك العصر. ولكن مع اتّساع رقعة الإسلام ودخول غير العرب فيه، بدأ اللّحن يظهر على الألسن. وهذا ما استدعى وضع علامات لضبط القراءة دون المساس بالرّسم.

علامات الضّبط

- نَقط الإعراب: وضعه أبو الأسود الدّؤلي، لكي يميّز به حركة الحرف الأخير من الكلمة. فاستخدم لوناً يخالف لون الرّسم، ووضع للفتحة نقطة فوق الحرف، وللكسرة نقطة تحت الحرف، وللضمة نقطة بعد الحرف، وللتنوين نقطتين بعده.

- نَقط الإعجام: وضعه نصر بن عاصم اللّيثيّ ويحيى بن يعمر العدوانيّ، حتى يفرقا به بين الحروف المتشابهة في الرّسم كالباء والتّاء والدّال والذّال والسّين والشّين والفاء والقاف. وكُتب هذا النقط بلون رسم المصحف ليخالف نقط الإعراب.

- النّقط المستطيل: وضعه الخليل بن أحمد الفراهيديّ بدل نقط إعراب أبي الأسود الدّؤلي. وقد أخذه من صورة الحروف؛ فالضّمة (واو) صغيرة فوق الحرف، والفتحة (ألف) مبطوحة فوق الحرف، والكسرة (ياء) صغيرة تحت الحرف. كما وضع الخليل بن حمد علامات الهمز والتّشديد والسّكون والتّنوين والمدّ.

تقسيم المصحف

منشأ التّقسيم يعود إلى فعل الرّسول الأكرم(ص)، حيث كان يُحزّب القرآن على أساس السّور ليقرأه بتمامه طوال الأسبوع. ثمّ تعدّدت التّقسيمات لتسهيل ختم القراءة على أساس الأيام والسّور والحروف والآيات. وقد قُسّم القرآن لاحقًا إلى أجزاء، ولكلّ جزء حزبان، والحزب أربعة أرباع.

الأجزاء	الأحزاب	الأرباع
٣٠	٦٠	٢٤٠

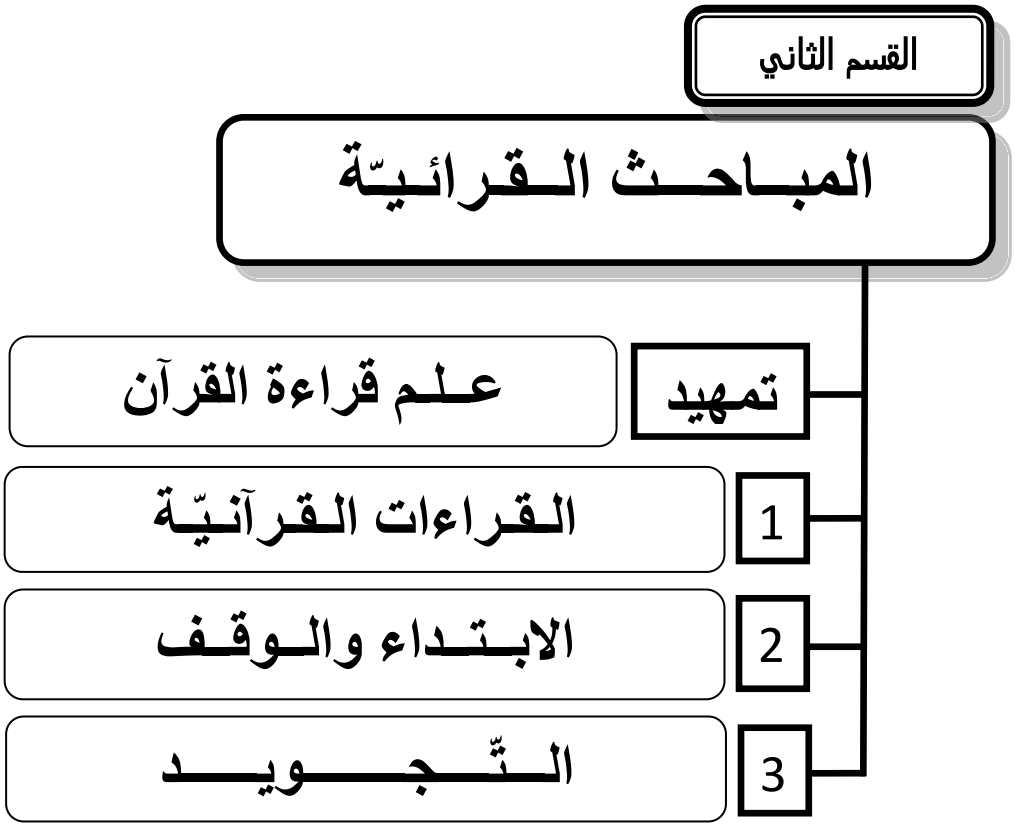
القسم الثاني
المبـاحــث الـقـرائـيـّة
تمهيد
عـلـم قراءة القرآن
1
الـقـراءات الـقـرآنـيـّة
2
الابـتـداء والـوقـف
3
الـتّــجــويــد

المباحث القرآئية

تمهيد: علم قراءة القرآن

التّعريف

(القراءة) لغةً: تتبّع الحروف بالنّظر والنّطق بها. وعلم قراءة القرآن: مجال علمي يبحث في ضبط رواية النّص القرآنيّ وقراءاته عن الرّسول(ص)، وكيفيّة نطق حروفه مخارجَ وصفاتٍ، وأداء جمله ابتداءً ووقفًا.

الأهميّة

تتأتّى أهميّة علم قراءة القرآن الكريم من:

١. أنّه يضمن ضبط حروف القرآن وكلماته كما نطق بها الوحيّ.
٢. أنّه يعرِّف القارئ بالمعنى المراد من ربّ العباد عبر ابتدائه ووقفه.
٣. أنّه يصون اللّسان عند القراءة عن اللّحن الخفيّ واللّحن الجليّ.

موجز تاريخيّ

يبدأ التّأريخ لعلم قراءة القرآن الكريم مع تلقّي الرّسول الأكرم(ص) –سماعاً– الآيات الخمس الأُول من سورة العلق في غار حراء عبر ملك الوحي جبرائيل(ع). ومع الأمر بالتّبليغ الخاصّ ثمّ العامّ أخذ الرّسول(ص) يتلو القرآن على النّاس، كما عيّن(ص) كتبةً له يكتبون عنه ما يوحى إليه، ووجّه إلى تعليم الداخلين في الإسلام القرآن، وكان(ص) يُقرئ حفظته ما سمعوه منه. وفي السّنة الأخيرة من حياته عارض(ص) حفّاظ القرآن كاملًا مرتين.

ومع توسّع الإسلام جغرافيّاً وأقوامًا ولغاتٍ، برزت ظاهرة الاختلاف في قراءة القرآن–النّصف الأوّل من القرن الأوّل الهجريّ–، وهذا ما استدعى توحيد المسلمين على قراءة واحدة، وإرسال المبعوثين القرّاء للأمصار الإسلاميّة ليقرأ النّاس بقراءتهم. ومن بعد هؤلاء تجرّد أقوام للقراءة، فصاروا أئمة في القراءة، يُقتدى بقراءتهم ويُرحل إليهم. ولتصديهم للقراءة حفظًا وضبطًا نُسبت القراءة إليهم. وهذا التّخصص من هؤلاء القرّاء بداية القرن الثاني الهجريّ، وفّر مادّة التّصنيف لعلم القراءة في مستويات ثلاثة: القراءات والوقف والابتداء والتّجويد.

1 القراءات القرآنيّة

تعريف القراءات

(القراءات) جمع قراءة، وهي: كيفيّات النّطق بألفاظ القرآن حروفاً وهيئةً، كما نطقها الرّسول(ص) نقلاً عن الرّواة سماعًا لقراءته(ص) أو نقلاً لقراءة قُرئت أمامه(ص).

القراءة والرّواية والطّريق

ما نُسب إلى أئمّة القراءة ممّا أجمع عليه الرّواة والطّرق فهو (قراءة). كقولهم قرأ نافع الفعل "حسب" بتصريفاته بكسر السّين في القرآن كلّه. وما نُسب إلى الرّواة عن أئمّة القراءة فهو (رواية). كقولهم قرأ عثمان بن سعيد (ورش) بنقل حركة الهمزة إلى السّاكن قبلها. وما نُسب إلى الرّواة عن هؤلاء الرّواة فهو (طريق). كقولهم قرأ الأزرق مدّ البدل بأوجه ثلاثة. [عبدالحليم قابه، القراءات القرآنيّة.. تاريخها، ثبوتها، حجيّتها، أحكامها: ٣٥]

في نشأة القراءات وتطوّرها

ربّما تعود نشأة القراءات القرآنيّة إلى تلقّي الصّحابة لقراءة الرّسول(ص)، والتّلقّي بطبيعته يتأثّر بالعديد من العوامل الثّقافيّة والاجتماعيّة، مما يُنتج اختلافًا في ضبط القراءة عنه(ص). ويتأكّد فعل هذه العوامل في دقّة الضّبط مع التّقدّم في الزّمان بعد وفاته(ص)، فلم يكد ينقضي النّصف الأوّل من القرن الهجريّ الأوّل حتى برزت ظاهرة الاختلاف في وجوه قراءة القرآن بين أهل العراق وأهل الشّام وغيرهم من الذين قرأوا القرآن بلغاتهم(لهجاتهم). وهو ما دعا إلى توحيد المصاحف على قراءة واحدة في عهد عثمان بن عفّان، وإرسال قرّاء خاصّين إلى الأمصار الإسلاميّة ليقرأ النّاس بقراءتهم.

ولم يكن في مقدور هؤلاء القرّاء المبعوثين، تطويق المشكلة والسّيطرة عليها أو على الأقلّ الحدّ من تفاقمها، خصوصًا مع توزّع الصّحابة وتابعيهم في الأمصار وأخْذ النّاس عنهم، وتوسّع رقعة الإسلام مكانًا وأقوامًا. ومع النّصف الثّاني من القرن الأوّل وبداية القرن الثّاني، صار في كلّ مصرٍ رواة للقراءة، وكثر الاختلاف بينهم.

ثم ساهم تطوّر حركة التّصنيف في القراءات في حصرها في سبع قراءات، على يد ابن مجاهد(ت٣٢٤هـ)، بما وافق منها رسم المصحف، مما يسهل حفظه وضبط قراءته.

2 القراءات القرآنيّة

القراءات السّبع

أئمة القراءات	الرّاوة
(١) عبدالله بن عامر اليحصبيّ: قارئ الشّام(ت١١٨هـ) قرأ على المغيرة المخزوميّ وأبي الدّرداء.	- هشام بن عمّار الدّمشقيّ(ت٢٤٥هـ). - عبدالله الدّمشقيّ، ابن ذكوان(ت٢٤٥هـ).
(٢) عبدالله بن كثير الدّاريّ: قارئ مكّة(ت١٢٠هـ) قرأ على عبدالله بن السّائب ومجاهد بن جبر ودرباس مولى ابن عباس.	- أحمد بن محمّد البزّيّ(ت٢٥٠هـ). - محمّد بن عبدالرّحمن، قُنْبُل(ت٢٩١هـ).
(٣) عاصم بن أبي النّجود: قارئ الكوفة(ت١٢٩هـ) قرأ على أبي عبدالرّحمن السُّلميّ(ت٤٧) عن الإمام عليّ أمير المؤمنين(ع).	- حفص بن سليمان الدّوريّ(ت١٨٠هـ). [وهي القراءة المعتمدة الآن عند المسلمين كافّة] - شعبة بن عيّاش(ت١٩٣هـ).
(٤) أبوعمرو بن العلاء المازنيّ: قارئ البصرة(ت١٥٤هـ) قرأ على مجاهد وغيره.	- حفص بن عمرو الدّوريّ(ت٢٤٦هـ). - صالح بن زياد السّوسيّ(ت٢٦١هـ).
(٥) حمزة بن حبيب الزّيات: قارئ الكوفة(ت١٥٦هـ) قرأ على سليمان الأعشى والإمام الصّادق(ع) وحمران بن أعين.	- خلّاد بن خالد الصّيرفيّ(ت٢٢٠هـ). - خلف بن هشام البزّاز(ت٢٢٩هـ).
(٦) نافع بن عبدالرّحمن اللّيثيّ: قارئ المدينة(ت١٦٩هـ) قرأ على عبدالرّحمن بن هرمز ومحمد بن مسلم الزّهريّ وغيرهم.	- عثمان بن سعيد، ورش(ت١٩٧هـ). - عيسى بن ميناء، قالون(ت٢٢٠هـ). [يُقرأ بها في بلدان المغرب العربي وليبيا ومصر]
(٧) عليّ بن حمزة الكسائيّ: قارئ الكوفة(ت١٨٩هـ) قرأ على حمزة وشعبة.	- حفص بن عمرو الدّوريّ(ت٢٤٦هـ). - اللّيث بن خالد البغداديّ(ت٢٤٠هـ).

تواتر القراءات

اختلف علماء المذاهب الإسلاميّة في مسألة تواتر القراءات، فقائلٌ بـ: (١)أنّها متواترة إلى رسول الله(ص). (٢)أنّها ليست متواترة بل آحاد. (٣)أنّها متواترة فيما ليس من قبيل الأداء. (٤)أنّها متواترة عن القرّاء لا عن رسول الله(ص). أمّا علماء الشّيعة الإماميّة فذهبوا إلى تواتر قراءة حفص عن عاصم؛ فالقرآن نزل بحرف واحد على نبيّ واحد، وإنّما الاختلاف من الرّواة. لكنّ البعض منهم أجاز القراءة بما يتداوله القرّاء، وادّعى بعضهم حجيّة القراءات السّبع، وآخرون تواتر القراءات العشر.

3 القراءات القرآنيّة

القراءات والأحرف السّبعة

وردت روايات من طرق السّنة والشّيعة تنصّ على أنّ "القرآن أنزل على سبعة أحرف". وقد ربط البعض –اشتباهًا– بين الأحرف السّبعة والقراءات السّبع، إمّا على نحو التّطابق التّام بينهما، فالأحرف السّبعة هي ذاتها القراءات السّبع. أو على نحو وجود اختلافات سبعة بين هذه القراءات، كالاختلاف في الكلمة أو حروفها أو حركة إعرابها أو في تقديم كلمة أو تأخيرها أو زيادة كلمة أو نقصانها...

أما بخصوص موقف العلماء من أحاديث الأحرف السّبعة، فنوجزه في الآتي:

الموقف من الأحرف السّبعة

المُنكر

الّذين أنكروا صدور هذه الأحاديث فطرحوها؛ باعتبار أنّها متناقضة ولا ترجع إلى معنى صحيح.

المُثبت

الذين أثبتوا صدور هذه الأحاديث، لكن تعدّدت آراؤهم في بيان المراد منها. ولعلّ أبرز الآراء في معنى الأحرف:

- **الّلهجات**: اختلاف لهجات القبائل العربيّة في نطق الكلمة الواحدة حروفًا وهيئة كالتّشديد والتّسهيل. والسّبعة بمعنى الكثرة.
- **المعاني**: المعاني المحتملة لكلّ آية، فبعضها ظهر وبعضها بطن، وللظهر أظهر وللبطن بطون. والسّبعة بمعنى الكثرة.
- **الأبواب**: من: أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل. ولكن هناك اختلاف في العدد والمسمّيات.
- **المُتشابَه**: المُتشابَه الّذي لا يُدرى تأويله أو معناه. وفيه أنّ المتشابَه يُردّ إلى المُحكم فيُعرف معناه، كما نصّ القرآن.

القراءات والتّجويد.. الانفراد والاشتراك

تنفرد القراءات بدراسة الفروع(الفرشيّات)، وهي الأحكام الجزئيّة غير المطّردة، كقراءة عاصم والكسائيّ "مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ"(الحمد:٤) وقرأ غيرهما "مَلِك". وينفرد التّجويد بدراسة مخارج الحروف وصفاتها. ويشتركان في دراسة بعض الأصول، كالإدغام والإظهار والتّفخيم والتّرقيق ونحو ذلك. وبإجمال: القراءات تبحث في الصّورة اللّفظيّة للكلمة، والتّجويد يبحث في الصّورة الصّوتيّة للحرف الهجائيّ القرآنيّ. [الشّيخ عبدالهادي الفضليّ، القراءات القرآنيّة: تاريخ وتعريف:١٣٧-١٤٠]

الوقف والابتداء

التّعريف والأهميّة

(الوقف) لغةً الحبس، و(الابتداء) الافتتاح، واصطلاحًا: أداء القراءة بالوقف على المواضع الّتي يتمّ فيها المعنى، والابتداء بالمواضع الّتي لا يختلّ فيها المعنى.

وأصله مأخوذ من فعل الرّسول الأكرم(ص)، حيث كان يقطّع قراءته ويُقرئ الصحابة على مثل ذلك. أمّا أهميّته فتكمن في توضيح معاني الآيات القرآنيّة للمستمع.

أنواع الوقف والابتداء

أنواع الوقف

- **انتظاريّ**: يكون عند من أراد الجمع بين القراءات في قراءة واحدة.
- **اضطراريّ**: يكون عند حالة الاضطرار بسبب ضيق التّنفس. وينبغي عند الوصل البدء بما قبلها.
- **اختياريّ**: يكون بالاختيار، من غير سبب خارج عن الإرادة، وينقسم إلى:
  - **لازم**: الذي لا يتعلّق بما بعده لفظًا ولا معنىً، وحين يُوصل يُفهم معنًى غير مقصود.
  - **تام**: الذي يحسن الوقف عنده والابتداء بما بعده. وحين يُوصل لا يتغيّر المعنى. ورمزه (قلى).
  - **كافٍ**: الذي لم يتعلّق بما بعده ولا بما قبله لفظًا أو معنًى. ورمزه (صلى أو ج).
  - **حسن**: الذي يتمّ به المعنى لكن تعلّق بما بعده لفظًا ومعنًى. ورمزه (صلى أو ص).
  - **قبيح**: الذي لا يتمّ به المعنى. مثل: {ٱلۡحَمۡدُ}. من {ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} (الحمد:٢)

أنواع الابتداء

- **جائز**: الابتداء بجملة مستقلّة تبيّن معنًى تامًا، مثل: {قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ} (التّوحيد:١).
- **غير جائز**: الابتداء بكلمة تغيّر معنى الآية، مثل: {اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا} (البقرة:٢٥٨).

تجويد القرآن

تعريف التّجويد

(التّجويد) لغةً التّحسين. وفي الاصطلاح: إخراج كلّ حرفٍ من مخرجه مع إعطائه حقّه(صفاته الذّاتيّة اللّازمة له كالجهر والشّدة...) ومستحقّه(صفاته العرضيّة الّتي تنشأ عن الصّفات الذّاتيّة كالغنّة والمدّ...)، وغايته صون اللّسان عن اللّحن الخّفيّ(الذي يدركه المختصّ) والجليّ(الذي يدركه غير المختصّ) في نطق كلمات القرآن الكريم.

حكم التّجويد

حكم التّجويد من حيث الفرض: هو فرض كفاية، أما من حيث العمل: فهو على قسمين:

- واجب: وهو ما يتوقف على صحّة النّطق بالحرف أو الحركة؛ فالإخلال به يغيّر مبنى الكلمة أو يفسد معناها.

- مستحب: وهو ما يتعلّق بإتقان النّطق الصّحيح، بالمهارة في تحقيق صفات الحروف وأحكامها، وهو أمر لا يقدر عليه إلّا المختصّ من النّاس.

نشأة التّجويد

ترجع نشأة التّجويد إلى عهد الرّسول(ص) والصّحابة، فقد رُوي أنّ الإمام علي(ع) سُئل عن معنى قول الله تعالى: {وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}(المزّمّل:٤)؟ فقال: "هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف". فقد كان المسلمون يستندون في قراءة القرآن إلى الأصول المرعيّة في نطق اللّغة العربيّة، إضافة إلى الرّواية المتواترة عن الرّسول(ص). إلّا أنّ التّجويد كمصطلح علميّ لم يُعرف إلّا في القرن الرّابع الهجريّ. وهذا يعني أنّ التّجويد تأخّر ظهوراً عن بعض مباحث علوم القرآن أكثر من قرنين.

ويعود الفضل في تقعيد التّجويد كعلم إلى جهود علماء العربيّة من نحويين ولغويين في مجال دراستهم لأصوات العربيّة والدّرس الصّرفيّ، وإلى جهود علماء القراءات الّذين كانوا مشتغلين برواية النّص القرآنيّ وضبط حروفه، كما نقلت عن الرّسول(ص).

القسم الثالث

المبـاحــث التّفســيريّة

المباحث التفسيرية

تمهيد: علم تفسير القرآن

التّعريف

(التّفسير) لغةً البيان والكشف، وفي الاصطلاح: مجال علمي يبحث بيان معنى الآية والكشف عن مداليلها، عبر علوم اللّغة المختلفة، والإحاطة بالدِّين والشّريعة، ومعرفة أسباب النّزول، والمكيّ والمدنيّ، والمحكم والمتشابه، والنّاسخ والمنسوخ، والخاصّ والعامّ، والمطلق والمقيّد، والمجمل والمبيّن و...

الحاجة إليه

تتأتّى الحاجة إلى علم التفسير، مع كون القرآن أنزل نورًا وهدى، من الآتي:

(١) أنّه جاء بيانًا للأصول العامّة للدّين، وأُوكل التّفصيل للرّسول(ص).

(٢) أنّه احتوى معاني دقيقة وأسرارًا خفيّة في معارف الدّين والشّريعة.

(٣) أنّ طبيعة النص القرآنيّ قائمة على الفصاحة والتّعابير الدّقيقة والمجاز.

(٤) أنّ فيه نبأ الأولين والآخرين، لا يخلق على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه.

موجز تاريخي

كانت بدايات التّفسير متصاحبةً مع نزول القرآن وعلى يد الرّسول(ص)؛ باعتباره صاحب الرّسالة والمبيّن للنّاس ما نُزّل إليهم. مع الإشارة إلى أنّ تفسيره للنّاس لم يكن شاملًا لكلّ آيات القرآن، لكنّه(ص) خصّ أمير المؤمنين(ع) بتفسيره وتأويله وظاهره وباطنه كاملًا. ومع وفاة الرّسول(ص) تصدّى أهل البيت(ع) وجمع من الصّحابة لعمليّة التّفسير، إمّا بالرّواية عن الرّسول(ص)، أو بالقرآن نفسه، أو بالعرف اللّغوي العامّ واجتهادهم.

وفي عصر التّابعين وتابعيهم برزت المدارس التّفسيريّة، المكيّة والمدينّة والكوفيّة والبصريّة، التي مهّدت الطّريق لازدهار حركة التّصنيف المنظّمة فيما بعد، فظهرت المدوّنات التّفسيريّة للقرآن الكريم ولا تزال تتابع مع تتابع الزمان.

1 أسباب النّزول

نزول آيات القرآن

نزول ابتدائيّ

آيات نزلت ابتداءً لهداية النّاس، حيث بيّنت العقائد والتّشريعات والأحكام والآداب، وأحوال العوالم المختلفة، وأخبار الأمم السّابقة... وهو أكثر آيات القرآن الكريم.

نزول سببيّ

آيات ارتبط نزولها لسبب معيّن: وقوع حادثة، كحادثة الإفك (النّور:١١)، أو سؤال، كالسّؤال عن الرّوح (الإسراء:٨٥)، أو استفتاء، كالاستفتاء عن الميراث (النّساء:١٧٦).

تعريف الأسباب

"أسباب النّزول هي الوقائع الّتي نزلت الآيات في بيانها معاصرة لحدوثها". ومعاصرة الحدوث تعني تزامن نزول الآيات مع الواقعة، سواء أكان النّزول بشكل فوريّ أم على تراخٍ. والتّعبير بالأسباب من باب التّسامح، وإلّا فهي مناسبات وليست بأسباب حقيقية.

أنماط الأسباب

أنماط أسباب النّزول

النّازل والسّبب واحد

كقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ}(البقرة:٢٠٧)، فقد نزلت في واقعة مبيت أمير المؤمنين عليّ(ع) في فراش رسول الله(ص) ليلة هجرته(ص) للمدينة.

تعدّد السّبب والنّازل واحد

كسورة الإخلاص الّتي نزلت بمكّة عندما سألت قريش رسول الله أن ينسب ربّه، وأخرى في المدينة عندما جاءه بعض اليهود فقالوا: صف لنا ربّك. وكسورة الفاتحة الّتي نزلت في مكّة وفي المدينة.

تعدّد النّازل والسبب واحد

كسؤال أمّ سلمة الرّسول (ص): يا رسول الله(ص)، لا أسمع ذكر النّساء في الهجرة بشيء؟ فنزلت آية (١٩٥:آل عمران). وأنّها قالت له(ص): تذكر الرّجال ولا تذكر النّساء؟ فنزلت آية (٣٥:الأحزاب).

2 أسباب النّزول

قيمة معرفة الأسباب

(١) معرفة المراد من معاني بعض الآيات. فمثلًا، المقصود من {أَن تَأتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا} يتضح بمعرفة سبب النّزول. فقد ورد عن البرّاء أنّه قال: نزلت هذه الآية فينا. كانت الأنصار إذا حجّوا فجاءوا لم يدخلوا من أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها. فجاء رجل منهم فدخل من الباب فعُيّر بذلك، فنزل قوله تعالى: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا}(البقرة:١٨٩).

(٢) رفع اللّبس الّذي قد يُتوهَّم في بعض الآيات. فمثلًا، كره بعض الصّحابة السّعي بين الصّفا والمروة؛ لكونهما من الجاهليّة، فلمّا سئل(ص) نزل قوله: {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا}(البقرة:١٨٥).

(٣) إفادة الحصر ودفع العموم عن بعض الآيات. فسبب نزول قوله: {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}(المائدة:٥٥) يفيد حصر الولاية بالله سبحانه وتعالى وبالرّسول(ص) وبأمير المؤمنين(ع) دون غيرهم. حيث نزلت فى الأمير(ع) عندما تصدّق بالخاتم وهو راكع يصلى فى المسجد.

(٤) بيان الحكم في بعض الآيات ودائرته زمانًا ومكانًا. فمثلًا، عدم إحاطة بعض الصّحابة بسبب وزمان نزول قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}(المائدة:٩٣)، قادهم إلى إباحة الخمر. في حين أنّ الآية نزلت في المؤمنين الذين ماتوا وهم يشربون الخمر قبل تحريمها. وكذلك بيان حكم الطواف وأنّه واجب لا مستحب فى الآية (١٨٥:البقرة).

كيفيّة معرفة الأسباب

مع الأهميّة البالغة لروايات أسباب النّزول، إلّا أنّ طريق الوصول إليها مليء بالمحذورات؛ وذلك راجع إلى سعي البعض، بتأثير الأجواء المذهبيّة والسّياسيّة، نحو اختلاق الرّوايات ودسّها أو توجيهها بما يخدمه مصالحه.

وبناءً على هذا، فقد جعلوا السّبيل الوحيد إلى معرفة أسباب النّزول هو الرّواية الصّحيحة سندًا ومتنًا.

3 أسباب النّزول

بين سبب النّزول وشأن النّزول

"الشّأن يعني: الأمر الّذي نزل القرآن –آية أو سورة– لتعالج شأنه بيانًا وشرحًا أو اعتبارًا بمواضع اعتباره. كما في أكثريّة قصص الماضين والإخبار عن أمم سالفين، أو عن مواقف أنبياء وقدّيسين(...). وعليه فالفارق بين السّبب والشّأن –اصطلاحًا– أنّ الأوّل يعني مشكلة حاضرة لحادثة عارضة. والثّاني مشكلة أمر واقع، سواء أكانت حاضرة أم غابرة". [الشيخ معرفة، التّمهيد:٢٦٧/١]

العموم والخصوص في اللّفظ والسّبب

مطابقة ألفاظ النّازل لأفراد السّبب من حيث التّعميم والتّخصيص تأتي على صور صحيحة ثلاث:

(الأولى): أن يكون السّبب عامًا واللّفظ عامًا. ولا إشكال هنا في التّعميم لجميع الأفراد. كما في آية السّعي بين الصّفا والمروة(البقرة:١٨٥)، وآية مخالطة اليتامى(البقرة:٢٢٠).

(الثّانية): أن يكون السّبب خاصًا واللّفظ خاصًا. ولا إشكال هنا في التّخصيص للفرد النّازل فيه. وكما في سورة المسد، الّتي نزلت في أبي لهب عندما قال للرّسول(ص): "تبًا لك"، عندما أنذر قريش وهو على جبل الصّفا.

(الثّالثة): أن يكون السّبب خاصًا واللّفظ عامًا، كما في رمي الأزواج(النّور:٦-٩). فهل العبرة بعموم اللّفظ فيشمل جميع الأفراد، أم بخصوص السّبب فيكون مقصورًا على أفراده؟ وهنا وقع الاختلاف بين من أخذ بعموم اللّفظ ومن أخذ بخصوص السّبب. وقد ذهبت الشّيعة الإماميّة إلى عموم اللّفظ لا خصوص السّبب، فعن الإمام الباقر(ع): "إنّ القرآن حيّ لا يموت، وإنّ الآية حيّة لا تموت؛ فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين".

الإسرائيليّات

هي المرويّات التّفسيريّة القصصيّة الّتي يرجع أصلها إلى رُواة يهود، أسلموا نفاقًا أو قناعة، ككعب الأحبار وعبدالله بن سلام ووهب بن المنبّه... حيث كانوا يقصّون مروياتهم اليهوديّة ذات الصّلة بالقصص القرآنيّ على النّاس في المساجد، وقد تسلّلت هذه المرويّات إلى كتب التّفسير. ثمّ توسّع هذا المصطلح ليشمل كلّ المرويّات المدسوسة والمختلقة في التّفسير والحديث، وإن لم يكن أصلها يهوديًّا. مع الإشارة إلى أنّ الإسرائيليّات ليست كلّها مرفوضة، فبعضها صحيح متوافق مع القرآن.

1 المكّيّ والمدنيّ

مراحل الدّعوة

- **المرحلة المكّيّة**
- **المرحلة المدنيّة**

ونظرًا لترافق نزول القرآن مع المرحلة المكّيّة –التي استمرّت (١٣) عامًا–، وكذلك المرحلة المدنيّة –التي استمرّت (١٠) أعوام تقريبًا–، فقد برزت ظاهرة السّور والآيات المكّيّة والمدنيّة.

اتّجاهات التّعريف

اتّجاهات تعريف السّور والآيات المكّيّة والمدنيّة

الخطابيّ	فالمكّيّ ما وقع خطابًا لأهل مكّة، والمدنيّ ما وقع خاطبًا لأهل المدينة.
المكانيّ	فالمكّيّ ما نزل بمكّة وضواحيها، والمدنيّ ما نزل بالمدينة وضواحيها.
الزّمانيّ	فالمكّيّ ما نزل قبل الهجرة، والمدنيّ ما نزل بعد الهجرة ولو كان في مكّة. وهو الاتّجاه الّذي أخذ به الأغلب، وهو الأسلم من التّعارضات.

قيمة معرفة المكّيّ والمدنيّ

(١) معرفة الآيات النّاسخة والمنسوخة، والخاصّ والعامّ منها، والمقيّد والمطلق فيها.

(٢) التّعرّف إلى سيرة الرّسول(ص) وحركة الدّعوة من خلال آيات القرآن الكريم.

(٣) الإعانة على التّفسير، والوقوف على أسباب النّزول بشكل صحيح. فمثلًا: رُوي أنّ قوله تعالى: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}(التّوبة:١١٣) نزل في أبي طالب، عمّ الرّسول(ص)، حال احتضاره، واستغفار الرّسول(ص) له. لكنّ أبا طالب، والد أمير المؤمنين(ع)، توفي قبل الهجرة بثلاث سنوات أو أكثر، وسورة التّوبة سورة مدنيّة، وقد نزلت في السّنة الثّامنة للهجرة، نعرف بطلان هذه الرّواية، وغرض مختلقها.

2 المكيّ والمدنيّ

كيفيّة تحديد المكّيّ والمدنيّ

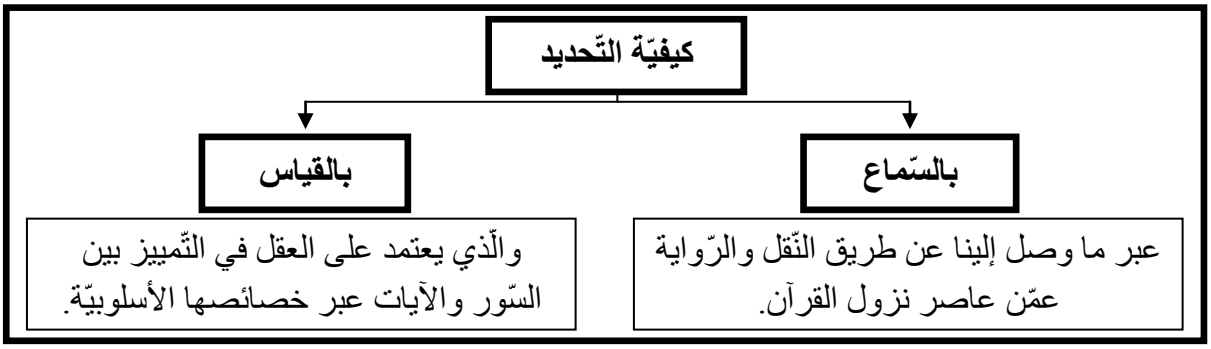

خصائص المكّيّ والمدنيّ

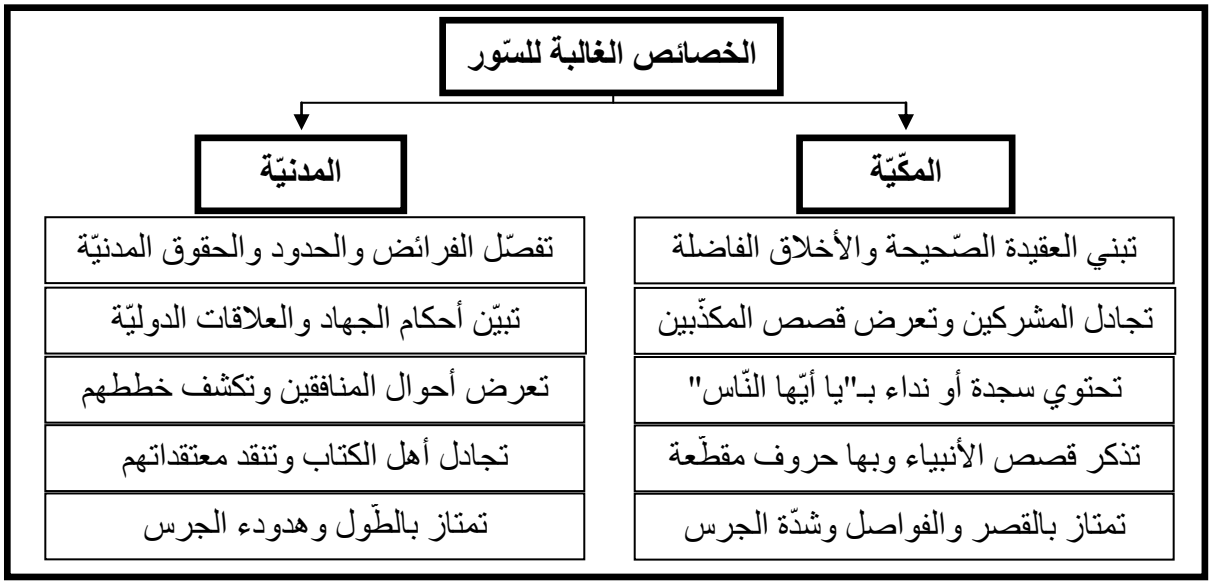

عدد سور القرآن وآياته وكلماته وفق المكيّ والمدنيّ

النّوع	السّور	الآيات	المكّيّة	المدنيّة	الكلمات	المكّيّة	المدنيّة
المكّيّة	٥١	١٦٨٣	١٦٨٣	-	١١٤٩٢	١١٤٩٢	-
المدنيّة	٢٦	١٤١٩	-	١٤١٩	٢٦٤١٢	-	٢٦٤١٢
المكّيّة ذات الآيات المدنيّة	٣٥	٢٩٣٠	٢٧٧٦	١٥٤	٣٦١٥٤	٣٤٠١٣	٢١٤٢
المدنيّة ذات الآيات المكّيّة	٢	٢٠٤	٩	١٩٥	٣٧٤٨	١٤٨	٣٦٠٠
المجموع	١١٤	٦٢٣٦	٤٤٦٨	١٧٦٨	٧٧٨٠٧	٤٥٦٥٣	٣٢١٥٤

[المعجم الإحصائي للقرآن الكريم، محمد روحاني. نقلاً عن: دروس في علوم القرآن، حسين جوان أراسته، ص:١١٠]

1 النّاسخ والمنسوخ

الموقف من النّسخ في القرآن

- **المُنكرون**: وهم قلّة، عدّوا النّسخ تخصيصًا أو تقييدًا أو استثناءً.
- **المُثبتون**
  - **المكثرون**: وهم الأقدمون، وحصروها بين (٥٠٠-٢١) آيةً.
  - **المقلّون**: وهم المحدثون، وحصروها بين(١-١٠) آياتٍ.

تعريف النّسخ

(النّسخ) لغةً: الإزالة والتّغيير والنّقل. أما في الاصطلاح: رفع حكم سابق بحكم لاحق له في نفس الموضوع، بحيث لا يمكن اجتماعهما معًا. والنّسخ ثابت بدليل قوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}(البقرة:١٠٦)، وقوله تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ ۙ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}(النحل:١٠١).

من آيات النّسخ

الآيات المنسوخة	الآيات الناسخة
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً}(الرّعد:١٢).	{أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ}(الرعد:١٣).
{وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ}(النّساء:١٥).	{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}(النّور:٢).
{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا}(الأنفال:٦٥).	{الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ}(الأنفال:٦٦).
{اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}(آل عمران:١٠٢).	{فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}(التّغابن:١٦).

2 النّاسخ والمنسوخ

أركان النّسخ وشروطه

أركان النّسخ

- **الحكم المنسوخ**
- **الحكم النّاسخ**
  - ويشترط فيهما:
    - (١) أن يكون بينهما تنافٍ ذاتي، فلا يجتمعان في تشريع مستمر.
    - (٢) أن يكون التنافي كلّيًا لا جزئيًا؛ لأنّ ذلك تخصيص للعام.
    - (٣) أن يكون الحكم المنسوخ محدّدًا بأمد، والنّاسخ متراخٍ عنه.
    - (٤) أن يكونا حكمين شرعيّين لا خبرين، من القرآن أو السنّة.
    - (٥) أن يكون الموضوع بينهما واحدًا، ويتساويان في قوّة الدّليل.
- **النّاسخ(فاعل النّسخ)**
  - النّاسخ هو الشّارع المقدّس. وبما إنّ الرّسول(ص) والأئمة المعصومين(ع) يطلق عليهم تسمية الشّارع؛ لأنّهم ينطقون عن الوحي، فلا يحقّ لأحد غيرهم أنّ ينسخ شيئًا. فلا نسخ بقياس أو إجماع أو عقل.

تقسيمات النسخ

يُقسّم النّسخ

من حيث التّلاوة والحكم	من حيث ما يقع به النّسخ	من حيث البدل
(١) نسخ الحكم والتّلاوة: كآية الرّضعات العشر.	(١) نسخ القرآن بالقرآن: وهو القسم المجمع عليه.	(١) نسخ إلى غير بدل: كحكم النّجوى(الرّعد:١٣).
(٢) نسخ التّلاوة لا الحكم: كآية رجم الشّيخ والشّيخة.	(٢) نسخ القرآن بالسّنة القطعيّة: وهو ما لم يقع.	(١) نسخ إلى بدل أخفّ: كحكم المقاتلين(الأنفال:٦٦).
(٣) نسخ الحكم لا التّلاوة: وهو القسم الصّحيح الثّابت.	(٣) نسخ السّنة بالقرآن: وهو ممّا يُناقش في أدلته.	(١) نسخ إلى بدل أثقل: كحكم الزّانية(النّور:٢).

3 النّاسخ والمنسوخ

حقيقة النّسخ

ليس المقصود بالنّسخ الأمر الظّاهر منه، وهو: "نشأة حكم جديد" بعد تبيُّن خطأ أو قصور الحكم الأوّل، فالأخير هو الصّحيح والكامل؛ فهذا مستحيل على الله سبحانه وتعالى، فهو العالم بخفايا الأمور وظواهرها.

إنّما النّسخ، في حقيقته، حكم مؤقّت أنزله الله سبحانه ليعمل به لفترة محدّدة، بمقتضى مصلحة واقعيّة، ليعقبه حكم ثابت لا يتغيّر.

وكمثال على ذلك، آية النّجوى. فقد كان الصّحابة يكثرون السّؤال في مسائل غير ذات شأن، شاغلين أوقات الرّسول(ص) دون طائل. فنزلت آية بفرض صدقة درهم واحد عند كلّ مسألة. فترك الصّحابة مناجاته(ص) خوفًا من بذل المال بالصّدقة، فلم يناجه أحد منهم سوى الإمام عليّ(ع)، فإنّه ناجاه عشر نجوات بدينار كان لديه، وكان في كل مرّة يقدّم درهمًا بين يدي نجواه. فنزلت الآية التّالية من هذه السّورة لتنسخ حكم الآية السّابقة.

بين النّسخ والبَداء والشّيعة

اتّهم البعض، قديمًا وحديثًا، الشّيعة الإماميّة بأنّهم أجازوا البَداء على الله -بمعنى: الظهور بعد خفاء، وعلم شيء بعد عدم العلم به- فأجازوا النّسخ وتوسّعوا فيه. فكانوا على طرفي نقيض من اليهود الذين أنكروا النّسخ؛ لاستلزامه البَداء وسبق الجهل.

وهي تهمة ظالمة، فإنّ البَداء والنّسخ، بالمعنى السّابق، ممتنع عليه سبحانه. لكن، إذا كان البَداء بمعنى: ظهور أمرٍ محتّمٍ عند الله بعد خفائه بالنّسبة للنّاس، والنّسخ بمعنى: ظهور أمد حكمٍ معلومٍ عند الله خافيًا على النّاس، فسيكونان أمرين صحيحين. لذا قالوا: "النّسخ في التّشريع كالبَداء في التّكوين". يقول تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ}(الرّعد:٣٩).

النّسخ والتّخصيص

"التّخصيص هو "قصر العامّ على بعض أفراده"،... أمّا النّسخ فيظلّ النّص المنسوخ فيه مستعملًا فيما وضع له، ويظلّ متناولًا جميع الأزمان، إلّا أنّ حكمه الشّامل يستمرّ إلى وقت معيّن ثمّ لا يبطله إلّا النّاسخ لحكمة يعلمها الله". [مباحث في علوم القرآن، صبحي الصّالح: ٢٦٢-٢٦٣]

4 المباحث التّفسيريّة

1 المُحكَم والمُتشابَه

ينصّ القرآن الكريم على أنّ آياته متشابهة الإحكام من حيث النّسق والنّظم والإعجاز، يقول تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا}(الزّمر:٢٣) ويقول تعالى: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ}(هود:١). كما ينصّ كذلك على أنّ هذه الآيات بعينها، من حيث المعنى، منقسمة إلى قسمين: محكمة ومتشابهة، يقول تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا}(آل عمران:٧). لذا، كان الأخذ بالمُتشابَه دون الرجوع للمُحكَم من الذين زاغت قلوبهم، سببًا في ظهور مذاهب إسلاميّة ضالة كالمرجّئة وغيرها.

تعريف المُحكَم والمُتشابَه

التّعريف

المُحكَم

الإحكام لغةً الإتقان، والمُحكَم: الآيات التي لا تعرض فيها شبهة من حيث المعنى، ويعرف المراد منها بالتفسير. وهي أغلب آيات القرآن.

المُتشابَه

التّشابه لغةً التّماثل، والمُتشابَه: الآيات التّي تدلّ على معنىً غير ملائم لمعنى آية محكمة. وهي في حدود (٢٠٠) آيةٍ في القرآن الكريم.

أمثلة للمُحكَم والمُتشابَه

أمثلة من الآيات

المُحكَم

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}(الشورى:١١)

في صفات الله تعالى

{الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ}(طه:٥)

المُتشابَه

في أفعال الله تعالى

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا}(الأنعام:١٠٧)

2 المُحكَم والمُتشابَه

كيف نفسّر المُتشابَه؟

بيّنت الآية (٧:آل عمران) آليّة تأويل(تفسير) الآيات المُتشابَهة، حيث جعلت الآيات المُحكَمة الأمّ والمرجع الذي على أساسه يتمّ فهم معنى الآيات المُتشابَهة. فمثلًا:

الآية المُتشابَهة	المعنى المُشكل	الآية المُحكَمة	المعنى الصحيح
{إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (القيامة:٢٣)	أهل الجنّة ينظرون إلى ربّهم.	{لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} (الأنعام:١٠٣)	أهل الجنّة ينتظرون رحمة ربّهم.
{يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ} (الأنعام:١٠٧)	الضّلالة والهداية بمشيئة الله، لا بإرادة الإنسان.	{فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} (الكهف:٢٩)	إضلال الله خذلانه لعبده جزاء عناده، وهدايته توفيقه له جزاء طاعته.

الحكمة من وجود المُتشابَه

١. وجود المُتشابَه ضرورة؛ ذلك أنّ التّحدّي للعرب هو في بلاغة القرآن، والبلاغة قائمة على المجاز والنّظم. وهما الأمران اللّذان يساهمان في استغلال طاقات اللّغة التّعبيريّة، خصوصًا تلك المعاني المتعلّقة بذات الله سبحانه وأفعاله، حيث تعجز اللّغة العاديّة عن بيانها بشمولها وعمقها إيجازًا وجمالًا. كما يتيحان مخاطبة النّاس بمستوياتهم الفكريّة.

٢. وجود المُتشابَه في القرآن محطة اختبار؛ فالمؤمنون به يقولون كلّ من عند ربّنا، والذين في قلوبهم زيغ يتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وتأويله خدمةً لمصالحهم.

هل يعلمُ تأويلَه إلّا الله؟

سؤال محلّ خلاف بين مَن يقصُر تأويل الآيات المتشابهة على الله، وبين مَن يرى أن الرّاسخين في العلم يعلمونها أيضاً. ومنشأ الخلاف يعود لحرف (الواو) في {وَالرَّاسِخُونَ}(آل عمران:٧)؛ فإنْ اعتبرت استئنافية للوقف على ما قبلها؛ صار تأويلها خاصاً به تعالى، وإنْ اعتبرت عاطفة؛ أشركت الراسخين أيضاً. والدليل العقلي يرجح كونها عاطفة؛ فالقرآن أنزل للهداية. والراسخون في العلم هم أهل البيت(ع).

العامّ والخاصّ

العامّ.. التّعريف والأنواع

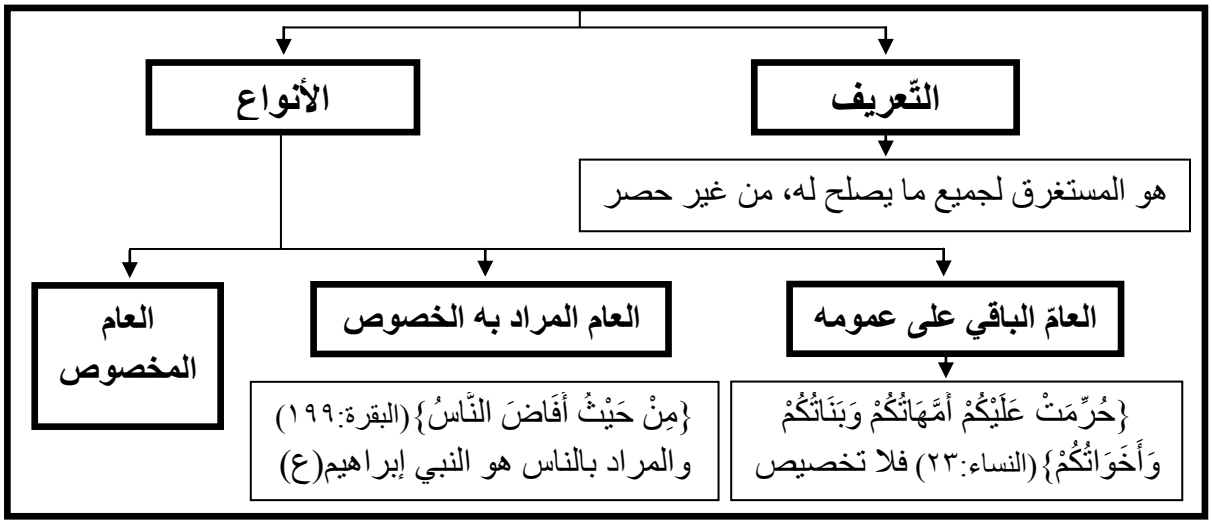

الخاصّ.. التّعريف والأنواع

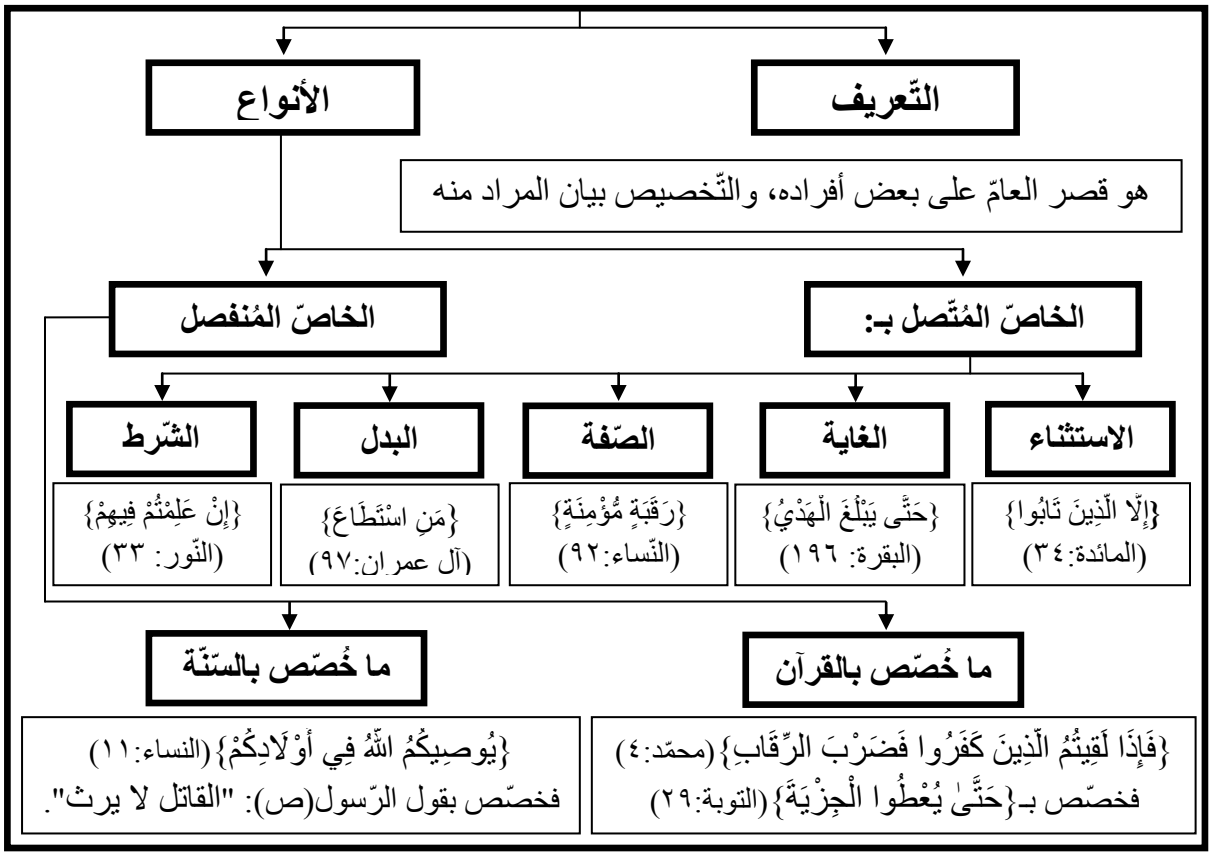

خاتمة

"إنِّي قد تركتُ فيكم ما إنْ أخذتم به، لن تضلّوا بعدي: الثّقلَينِ - أحدهما أكبرُ مِن الآخَر - كتاب الله، حبْلٌ ممدود من السَّماء إلى الأرض، وعِترتي أهل بيتي، ألَا وإنهما لن يَفترِقَا حتى يرِدَا عليَّ الحوضَ".

أبي سعيدٍ الخُدريِّ

قائمة المصادر والمراجع

استُمدت مادة الكتاب من مجموعة متنوعة من المصادر والمراجع المرتبطة بعلوم القرآن والعلوم ذات العلاقة. وسنكتفي بالإشارة إلى أهمها بحسب اسم المؤلف.

آراسته، حسين جوان:
دروس في علوم القرآن، تع: خليل العصاميّ، قم: مركز المصطفى، ط٣/١٤٣٥هـ.

الإبراهيم، موسى إبراهيم:
بحوث منهجيّة في علوم القرآن الكريم، عمّان: دار العمّار، ط٢/١٩٩٦م.

الأشيقر، السّيد محمّد عليّ:
لمحات من تاريخ القرآن، كربلاء: دار المحيط، (د.ت).

إسماعيل، شعبان محمّد:
المدخل لدراسة القرآن والسّنّة والعلوم الإسلاميّة، دار الأنصار، (د.ت).

إسماعيل، نبيل بن محمّد:
علم القراءات القرآنيّة: نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشّرعيّة، الرّياض: مكتبة التّوبة، ط١/٢٠٠٠م.

البُلقينيّ، عبدالرّحمن بن عمر(ت٨٢٤هـ):
مواقع العلوم في مواقع النّجوم، تح: أنور خطّاب، طنطا: دار الصّحابة، (د.ت).

الجديع، عبدالله بن يوسف:
المقدمات الأساسيّة في علوم القرآن، بيروت: مؤسسات الرّيان، ط١/٢٠٠١م.

الجرميّ، إبراهيم محمّد:
معجم علوم القرآن، حلب: دار القلم، ط١/٢٠٠١م.

الدّارابي، السّيّد عليّ الموسويّ:
نصوص في علوم القرآن، مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ط٢/١٤٢٩هـ.

الحسنيّ، نذير:
دروس في علوم القرآن، قمّ: مركز المصطفى، ط١/١٤٣٥هـ.

الحكيم، محمّد باقر:
علوم القرآن، قم: مجمع الفكر الإسلاميّ، ط٣(د.ت).

حيدر، حازم بن سعيد:
مدخل إلى التّعريف بالمصحف الشّريف، جدّة: معهد الإمام الشّاطبيّ، ط١/٢٠١٤م.

الحمد، غانم قدوري:
الميسّر في علم رسم المصحف وضبطه، جدّة: معهد الإمام الشّاطبيّ، ط٢/٢٠١٦م.

الزّرقانيّ، محمّد عبدالعظيم:
مناهل العرفان في علوم القرآن، تح:فوّاز زمرلي، بيروت: دار الكتاب، ط١/١٩٩٥م.

الزّركشيّ، بدر الدّين محمّد بن عبدالله(ت٧٩٤هـ):
البرهان في علوم القرآن، تح: أبي الفضل الدّمياطي، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٦م.

زقزوق، محمود حمدي:
الموسوعة القرآنيّة المتخصّصة، مصر: مطابع الأهرام، (د.ت) .

الزّنجانيّ، أبو عبدالله:
تاريخ القرآن، القاهرة: مؤسسة هنداويّ، ٢٠١٢م.

السّبحانيّ، جعفر:
المناهج التّفسيريّة في علوم القرآن، قمّ: مؤسّسة الإمام الصّادق، ط١/١٤٣٢هـ.

السّخاويّ، عليّ بن محمّد(ت٦٤٣هـ):
جمال القراء وكمال الإقراء، تح: علي حسين البواب، مكّة: مكتبة التّراث، ط١٤٠٨/١هـ.

السّيوطيّ، جلال الدّين عبدالرّحمن(ت٩١١هـ):
الإتقان في علوم القرآن، تح: مركز الدّراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، (د.ت).

الشّهرستاني، السّيّد عليّ:
جمع القرآن: نقد الوثائق وعرض الحقائق، قراءة تحليلية جديدة، كربلاء: العتبة العبّاسيّة، (د.ت).

الصالح، صبحي:
مباحث في علوم القرآن، بيروت: دار العلم للملايين، ط١٩٧٧/١٠م.

الصّباغ، محمّد بن لطفي:
لمحات في علوم القرآن واتّجاهات التّفسير، بيروت: المكتب الإسلاميّ، ط١٩٩٠/٣م.

الطّيّار، مساعد بن سليمان:
المحرّر في علوم القرآن، جدّة: معهد الإمام الشّاطبي، ط٢٠٠٨/٢م.

عتر، نور الدّين:
علوم القرآن الكريم، دمشق: مطبعة الصّباح، ط١٩٩٣/١م.

عطيّة، محمّد صالح:
رسم المصحف: إحصاء ودراسة، طرابلس: جمعيّة الدّعوة الإسلاميّة، ط٢٠٠١/٢م.

الغفّاريّ، عبدالرّسول:
الميسّر في علوم القرآن، بيروت: دار المحجّة البيضاء، ط/١٩٩٥.
جمع القرآن: بحث استدلاليّ في معنى الجمع وعلى يد من جمع أوّلاً، قمّ: مؤسّسة أنصاريان، ط٢٠١٠/١م.

الفضليّ، عبدالهادي:
القراءات القرآنيّة: تاريخ وتعريف، بيروت: مركز الغدير، ط٢٠٠٩/٤م.

قابة، عبدالحليم بن محمّد:
القراءات القرآنيّة: تاريخها، ثبوتها، حجيّتها، وأحكامها، بيروت: دار الغرب الإسلاميّ، ط١٩٩٩/١م.

القاضي، عبدالفتّاح:
تاريخ المصحف الشّريف، مصر: مكتبة الجنديّ، (د.ت).

القطّان، منّاع:
مباحث في علوم القرآن، القاهرة: مكتبة وهبة، (د.ت).

محيسن، محمّد سالم:
تاريخ القرآن الكريم، سلسلة دعوة الحق(ع١٥)، ط١٤٠٢/٢هـ.

مركز الثّقافة والمعارف القرآنيّة:
علوم القرآن عند المفسّرين، قمّ: مؤسسة بوستان كتاب، ط١٤٢٨/٢هـ.

معبد، محمّد أحمد:
نفحات من علوم القرآن، المدينة المنوّرة: مكتبة طيبة، ط١٩٨٦/١م.

معرفة، محمّد هادي:
التّمهيد في علوم القرآن، بيروت: دار التّعارف، ٢٠١١م.

منصور، عبدالقادر:
موسوعة علوم القرآن، حلب: دار القلم العربيّ، ط٢٠٠٢/١م.

الميانجيّ، محمّد باقر الملكيّ:
نفحات من علوم القرآن، مشهد: منشورات الولاية، ط١٤٣٥/١هـ.